الكتاب الذهبي

المحاورات الجديدة

أو

دليل الرجل الذكي الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية

لويس عوض



عدد ممتاز

الكتاب الذهبي

المحاورات الجديدة

أو دليل الرجل الذكى إلى الرجعية
والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية

لويس عوض

اول يناير ١٩٦٧



الغلاف والرسوم الداخلية بريشــــة
الفنـــان جمـــال كامـــل ..

× مقدمة لابد منها ×

فى الثالث من يونيو ١٩٦٥ اشتركت فى مهـرجان الأدب الذى أقامته محافظة الدقهلية بمدينة المنصورة ، وتكلمت فى ندوة حية اشتركت فيها مع الدكتورة بنت الشاطىء والاستاذ محمد زكى عبد القادر والاستاذ محمود العالم ، وكان موضـوع هذه الندوة « لقاء الثقافات » والحق ان موضـوع الندوة الذى اختاره لنا أدباء المنصورة الشبان كان فى حد ذاته موضـوعا ذكيا يدل على حذق كبير فى اختيار الموضوعات ، لاسيما وان المتكلمين كانوا يمثلون بقدر عددهم مختلف تيارات الفكر من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ، ولم يكن ينقصـهم الا اثنـان ليمثلوا كل ألوان الطيف أو ثلاثة ليمثلوا كل درجات السـلم الموسيقى •

فلاغرابة اذن ان كان اجتماع هؤلاء المتحدثين فى حد ذاته « لقاء ثقافيا » من نوع فريد ، ولست أستبعد أن أهل المنصورة الأذكياء قد تعمدوا أن يرتبوا هذا اللقاء ليظفروا بجلسة مثمرة • والذى نبهنى الى هذا أنى سعدت قبل الندوة بالتعرف للمرة الاولى الى فضيلة الاستاذ محمـد الغزالى وأتيح لنا أن نتبـادل الحديث خلال ثلاث ساعات قبل بدء النـدوة ، من الغـداء الى الأصيل فى أمور الفكر والثقافة وأمور الدنيا والدين ، وانضم

الينا الاستاذ محمد زكي عبد القادر . ثم اكتشفت أن ذكيا من أذكياء المنصورة سجل كل مادار بيننا من حوار على ريكوردر على غير علم منا • وقد اختلفنا قبل الندوة وأثناءها بما أرضى كل الاتجاهات الفكرية على وجه الارض • وليس هناك مايدعو لأن أعيد ماقاله القائلون أو أن أتحمل مسئولية عرض أفكار الغير فقد اتهم بتشويشها • ولا سيما أن الامر تعقد بعدالندوة الرسمية حين حمل أهل المنصورة ضيوفهم القاهريين نحو منتصف الليل في زكب من السيارات الى مصيف جمصة فوجدت نفسي على رمال الشاطىء بين عبد الرحمن الخميسى وصلاح عبد الصبور وأحمدحجازي والدكتور عبدالقادر القطوالدكتور عز الدين اسماعيل وفاروق خورشيد ورجاء النقاش وعبده بدوى وعامر بحيرى وعباس خضر • وعدد عظيم من الأدباء والمتأدبين • وكثر اللغط وتفرق وتجمع وتشتت في الرياح ورفرف بأجنحة في الظلام على أمواج البحر الابيض المتوسط ثم تلاشى الى الأبد •

ولكن لذى لفت نظرى في كل هذه المناقشات هو نوع الاسئلة التى كان يوجهها الينا شباب المنصورة ، وهم بغير شك يمثلون قطاعا من شباب مصر ، فقد كان أكثر هذه الاسئلة أسئلة حائرة تريد أن تستطلع معنى «الرجعية» و «التقدمية» وتريد أن تستوضح حقيقة دور الاستعمار فيما يسمى عادة بالغزو الفكرى أو الغزو الثقافى ، ولأنى أحسست بأن هذه الاسئلة الحائرة تعبر عن أشياء كثيرة عامة فى نفوس عدد كبير من الشباب الذين يسمعون هذه الالفاظ والعبارات تتطاير كالشرر دون أن يعرفوا لها معنى محددا ، فقد دفعنى هذا أثر عودتى الى القاهرة أن أتشبه بما فعله برناردشو ، فأكتب «دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية» • أكتبه من وجهة نظرى وفي حدود علمى وبوحى ثقافتى وتكوينى النفسى وربما من زاوية رجل تجاوز الخمسين جذوره الاجتماعية في الطبقة البورجوازية المهنية والبيروقراطية التى أنقذتها الثقافة الانسانية من فردية المهنيين ومن تقليدية البيروقراطيين • وأنا أذكر كل هذه المواصفات عن نفسى

لاعتقادى ان للبيئة دخلا كبيرا فى تشكيل أفكار الانسان واستجاباته ، بل ومقومات شخصيته الأساسية .

وبعد أن عدنا الى القاهرة قال قائل : ولماذا لاتنقل ندوات المنصورةالتى دارت فى مدرسة ابنلقمان وفيفندق الاكروبول وفي سيارات المحافظة وعلى بلاج جمصة فى صورة محاورات جديدة مفتوحة تتدارس فيها كل هذه الآراء ،وربماانتهينا الى شيء ينفعنا وينفع الناس ؟

قلت : لابأس ، ولكن بشرط واحد : وهو أن تسود روح جمصة فى القاهرة .

قال : وما روح جمصة ؟

قلت : ألا تذكر ليلة كذا تحت الخيمة العظيمة ، وهى أعظم من خيمة السرك ، ويسمونها الكازينو فيماأعتقد ، نستشرف البحر المالح ونأكل الكباب والدجاج حتى الفجر ، والىجوارنا سبعة من طهاة المنصورة وسفرجيتها يشوون لنا اللحم بأمر المحافظ على الطريقةالسكسونية التىيسمونهاطريقة«الباربكيو» أو الشواء الدائر فوق النار دوران محمصة البن ؟ كنا ساعتها نتجادل طويلا وعميقاوخطيرا ولكن فى هدوء ، لانرائحةالشواء التى جاءتنا على أجنحة النسيم السارى من أرخبيل آيجة طمانت قلوبنا وسكنت أعصابنا كأنها أنغام من مزامير كاريا أو ألحان من قيثارة أيولية عزفت على أوتارها أنامل ايوليوس رب النسيم . وأنتم أدباء القاهرة ، ملتهبون ، ونحن فى يونيو والحر لايطاق وكل موضوعاتكم ملتهبة ، فاذا وافقت ووافق الجميع أن يتم كل شيء فيابتسام ، تجادلنا وتحاورنا الى ماشاء الله . فالغضب ممنوعوالزعل مرفوع ، ولا أظناننامستطيعون أن نحل مشاكل الانسانية فى جلسات .

قال : موافق .

وقالوا : موافقون ، بشرط أن نخلط الجد بالهزل والهزل بالجد .

قلت : .. ما الىهذا قصدت ، فنحن لننتكلم ! لا جدا فى جد ، ولكننا سنقول كلشيء فيابتسام . وحتى لايغضب أحد سنستعمل الأسماء المستعارة ، ولن ننسب أى رأى الى قائله

بالاسم والرسم حتى يزول الاحراج وتنبسط تحت الاقنعة الاسارير • وما دمنا فى القاهرة ، وكل منا الى جوار مكتبته العامرة ، وعلى بعد أتوبيس من دار الكتب ومكتبة الجامعة ، فهذه فرصة ذهبية لان نحقق كل مانقوله ونضبطه على مراجعه • واذا اقتضى الامر دعونا من نشاء من الخبراء الأجانب ، من أفلاطون وأرسطو الى ت • س • اليوت وجان بول سارتر ، بشرط أن ينصرفوا ويعودوا الى بلادهم بمجرد أداء مهمتهم والادلاء بشهادتهم حتى لاتتحول ندواتنا القومية الى مؤتمر لايعلم عواقبه الاالله •• أقول لابد أن يعودوا الى بلادهم فور انتهائهم من عملهم ، فبعض هؤلاء تروقه مياه النيل أكثر مما تروقه مياه التيمس والسين والهدسون والفولجا والراين واليوفيتشيت والاقامة بيننا ولو بدون تصريح ثم يدعو أسرته وعشيرته وأخيرا أمته الى الارتواء من ماء النيل فيغترفوا منه حتى يجف شريان مصر • فما بالكم بخبراء البلاد التى ليست بها أنهار ؟

وأخيرا أرجو ألا يمانع أحد في استحضار أشباح الأدباء والأجداد من أبووير وبنتاؤور ـ الى العقاد ومحمد مندور ـ أنا مثلا أحب أن أستحضر روح المعرى وابن خلدون لا لأناقشهما فى بعض ماقالاه ، وهذا حق متاح للجميع ، ولكن أيضا بشرط أن يعود الاسلاف الى أكفانهم وقبورهم بمجرد اتحافنا بآرائهم السديدة أو السخيفة ، حتى لاننفصل عن القرن العشرين وحتى لايتكاثروا علينا ويملأوا قاعات سميراميس وشبرد ومنتدياتنا الادبية والفنية فنجد أنفسنا ـ فى مجمع الأشباح وكأننا فى الموقف ، ـ فبعض هؤلاء الموتى أراذل يتشبثون بالحياة ولا يكتفون بعمرهم ولكن يريدون أيضا أن يأخذوا عمر غيرهم •

قالوا : موافقون ، هل لك شروط أخرى ؟

قلت : نعم ، أن يشترك معنا فى الحوار أدباء القاهرة وفنانونها ومفكروها الذين تخلفوا عن حضور مهرجان الأدب فى المنصورة ، مثل أعضاء المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وهيئات تحرير مجلات وزارة الثقافة ومن شاء من أعضاء المجمع اللغوى والفنانين التشكيليين ورجال الموسيقى الخ • فبعض هؤلاء غاية فى التسلية

ولا سيما دعاة البعث العثماني . ومن يؤمنون بتحقيق الوحده العربية عن طريق نشيد«انت عمري » كماحققت ملينامركوري الوحدة العالمية عنطريق «فييوم الأحدمستحيل» وذلكالمعماري العظيم الذي يدمن باخ وفيفالدي ويشترط علىوزارةالاسكان هدم جميع مباني القطر واعادة بنائها بقباب بيزنطية ومشربيات مملوكية .

وبعد أن فرغنا من كل هذه المداولات الاجرائية كان السؤال الاول بالبديهة هو : كيف نبدأ ؟ وأين نبدأ ؟

قلت : نبدأ بالماسكات أو الاقنعة . مثلا فلان وفلان وفلان من خيرة شبابنا المثقف العاكف على الآداب والفنون ، ولكنهم في الواقع ليسوا أدباء ولا فنانين ولا فلاسفة بعد ، ونرجو أن يكونوا كذلك بعد عشرسنوات . لهذا سأكتفي بنماذج أو عينات منهم حتى لايشوشوا على محاوراتنا بكثرة الصياح وحماس الشباب . سأكتفي بفلان وهو صبي أدباتي في شئون الشعر والنثر وذلك القالب الثالث الذين يسمونه الدراما وسأكتفي بفلان وهو صبي نقاش استهوته البوية فاشترك في اتلييه القاهرة وذهب يلطخ القماش بالتبقيع والتجريد والتجسيد والتكعيب والتلعيب بدلا منتلطيخ الجدران ومن آن لآخر يلعب بالحجر والخزف والخشب فيدق عليه بالأزميل ، ويسنفره .

وسأكتفي بفلان وهو صبي زمار قضي صباه في درب العوالم المتفرع من شارع محمد على حيث أكاديمية الزمارين ثم خالط بعض الخواجات في جازباند الكورسال والكونتننتال فضحكوا عليه وأغروه بآلة مضحكة تسمى الكلارينيت قبل أنيبلغ العشرين ، وأعجبه لبس السموكنج فأطلق شعر رأسه ودخل الكونسرفاتوار ولكنه كان دائما يخلط بين كونشرتات موزار ودقات « أيوب المصرى »ففصلوه وقرر أن يحترف التأليف الموسيقي الذي يصلح لحصر هدى شمسالدين . ولأوركسترا القاهرة السيمفوني في قت واحد ، فعين في لجنة الموسيقى بالمجلس الاعلى للفنون والآداب .

وكان معه في صباه غلام ، وهو صبي قرداتي ــ وأخته الصغرى آكلة النار مثلهمن دربالعوالم فيسن البلوغ، اشتغلا

بمهمة البلياتشو على البيانولا فى شارع ألفى بك سنتين أو ثلاثا وكان خيالهما نشيطا كعضلاتهما فدخلا معهد الباليه ودرسا على الخبير الروسى جوكوف الذى لاحظ أن مشية تشارلى شابلن فى ألفى بك قوست ساقية تقويسا عضويا أو نفسيا ، وأن أرداف أخته ثقلت بسبب أكل النشويات والمفتقة فأحالها الى الخبير الروسى رامازين الذى عجز عن تقويمهما وتشاجرا معه واتهماه بمعاداة القومية العربية لانه يصر على أن يكون الرقص بالرجلين واليدين وحدهما دون اشتراك الخصر ، ولما انتصر رامازين عليهما فى هذه الازمة عادا واتهماه بمعاداة الاشتراكية والفن الشعبى ، لان شعبية الفن فى مصر دعامتها الاساسية تشغيل الجزء الأوسط من جسم الانسان وهو لم يخرج بعد من هذه الورطة وانما ينتظر أن تسحبه حكومة الاتحاد السوفيتى لانه لم يفهم تماما كتاب ستالين فى المسألة القومية .

وبعد صبى الأدباتى وصبى النقاش وصبى الزمار وصبى القرداتى وصبية البلياتشو ، هناك فلان وهو صبى فلفوس يدعو للجوانية والبرانية معا ويمضغ أسماء كثيرة غريبة من امبادوقليس الى ثراسينا خوس ومن الاكوينى والبرت الكبير الى هولباخ وكوندورسيه وقد استطاع أن يوقف قمة الهرم الهيجيلى المقلوب على قمة الهرم الماركسى المعدول فبدا الهرمان فى شكل هندسى طريف شبيه بوضع أولاد عاكف فى التمرين المشهور حيث يلتصق الرأسان . وغير هؤلاء صبيان كثيرون وكل هؤلاء ليسوا بحاجة الى أقنعة لتخفى شخصياتهم لان شخصياتهم لم تتكون بعد أو تتضح فيها ملامح مميزة .

ولكن المشكلة الحقيقية كانت فى أعلام الكتاب والفنانين . كان لابد أن أصنع لهم ماسكات يخفون وراءها ملامحهم ، فذهبت الى أمهر صانع أقنعة فى القاهرة ، وكان هو نفسه أحد هؤلاء الاعلام ، وربما كان علم الأعلام ، وكانت هوايته الاولى أن يصنع الماسكات للآلهة وانصاف الآلهة والابطال ، رجالا ونساء ، وكان دكانه فى برج عاجى ، فلما سمع المظاهرات بقيادة ابن سيركوف . وابن ماركوف يعلو لغطها ويرتفع هتافها : فلتسقط الابراج العاجية ! فليسقط الفن الانعزالى ! نريد ماسكات ، نريد

ماسكات ! الفن للمجتمع ! الماسكات لأبناءالشعب لا ماسكات لأبناء الذوات ! خاف أن يحرق المتظاهرون دكانه ، أو على الأقل أن يقتحموا عليه برجه العاجى فيتحول الى اسطبل ،فأخذ يصنع الأقنعة لكل من هب ودب ويوزعها على الجماهير . وكانت أقنعته طبعا من نوع رديء والاغلب انه كان يصب المصيص فى قالب واحد أو قالبين ، ولكنه نجح على العموم فى اسكات المتظاهرين فانصرفوا عنه وتركوه يعمل فى سلام .

قال صانع الأقنعة : لاتقحمنى ياحبيبى فى مشاكلك ، أنا رجل مسن وأحب الهدوء وقد نجحت الى حد كبير خلال ثلاثين سنة من العمل المتواصل فى أن أرضى جميع الناس اليمين واليسار والوسط ـ ولو انى ساعدتك فى صنع أقنعة لأدباء مصر وفنانيها لأغضبتهم منى .. هيا اصنع أقنعتك بنفسك ، وتحمل مسئولية عملك .

قلت يائسا : ولكنها ستكون أقنعة رديئة لاتوافق ماوراءها من وجوه ، أو أقنعة شفافة تبدى كل ماتحتها من ملامح . أنا أريد أن تكون « المحاورات الجديدة » محاورات فنية محجبة مثل محاوراتك ، لا محاورات فلسفية سافرة مثل محاورات أفلاطون . ألم تعلمونا أن الفرق بين الفن والعلم هو الفرق بين الحجاب والسفور ؟ أنظر لنفسك مثلا : أنت قد صنعت لنفسك قناعا ممتازا لبسته أكثر من ثلاثين سنة ، فلم يستطع أحد أن يكشف من تكون أو أن يقرأ مايدور فى رأسك من أفكار ومعتقدات . لم يستطع أحد أن يعرف ان كنت على يمين الوسط أو على يسار الوسط تماما مثل شكسبير ـ والقياس مع الفارق ـ كانت مهنته الكلام ، ولم يستطع أحد أن يحل لغزه أو ينسب اليه آراء أو معتقدات محددة رغم انه لم يكف عن الكلام طول حياته .

قال مبتسما : وما أدراك أن فى رأسى آراء ومعتقدات غير مافى رءوس شخصياتى ؟

قلت : هل يمكن لانسان أن يعيش بلا آراء ومعتقدات ؟

قال : قناعى لم يكشفه بعد انسان ، لاعليك . أنت تريد أن تحل لغز الفنان فى خمس دقائق . أنا أذكر أيام أن كنتم

طه حسين فى السافوا العليا ، ومعنا مدام طه ونحن فى كوخ من تلك الاكواخ المسحورة وسط الغابات المسحورة ، وكانت هناك بحيرة مسحورة ، أتعرف كيف استدرجنى طه حسين الماكر الى السافوا العليا فوجدت نفسى أركب القطار كأنى مجرد من الارادة ؟

ثم مضى صانع الاقنعة يقص على قصة لا رأس لها ولا ذنب ويبتهج أمامى بذكريات بعيدة حدثت نحو عام ١٩٣٦ وكانت ثمرتها كتاب كذا ، ولم يكف عن الكلام نحو ثلاث ساعات ، وكلما أردت أن أقاطعه قاطع مقاطعتى حتى اقتربت الساعة من الرابعة مساء فاستولى على اليأس تماما واصبحت مشكلتى . لا أن أظفر من صانع الأقنعة بأقنعة أستر بها وجوه شخصياتى بل كيف أستخلصه وأستخلص نفسى من حبائل ذكرياته ، واستنجدت بصديقنا السندباد بحسب اننى أدرك نظرتى الضارعة .

فقال : لقد آن الأوان لنعود الى زوجاتنا .

وهكذا حملنا السندباد الجديد على متن — أو على الأصح داخل — سيارته المرسيدس كما دأب أن يفعل كل أسبوع وأنزل كلا منا عند زوجته ثم انطلق هو أيضا الى زوجته .

ورأيت انه لابد مما ليس له بد ، مادام صانع الأقنعة الماهر لايريد أن يساعدنى ، لم يبق الا أن أصنع أقنعتى بنفسى، فاذا كانت رديئة أو شفافة أو لاتناسب أصحابها ، فهى على كل حال خير من لا أقنعة . لقد مضى الزمان الذى كان فيه أفلاطون يدير محاوراته على لسان سقراط وجلوكون وتراسيماخوس وايون الخ ... فأدباؤنا اليوم شديدو الحساسية ولا مناص من سترهم بأقنعة ، ولكى لأعطيك أيها القارىء فرصة للابتهاج بذكائك ابتهاجا سريعا لن أذكر لك أسماء « أشخاص المحاورات » أو أرتب لك الأقنعة التى صنعتها بحسب أدوار أصحابها كما يفعلون فى الصفحة الاولى من المسرحيات بل سأعرضها عليك مهوشة ومختلطة حتى يختلط عليك أمرها فلا تميز منها أحدا الا بحسب كلامه وسلوكه : واليك قائمة ببعضها :

أبو الفتوح الصباح • الخشداش أيواظ • عز الدين ايدمر المحيوى • خوله المايسطربة • الماركسية المسخسخة : شجرة اللولى • أبو سيفين صفيح • ابن عروس •ابن قرمط ••الشاب الظريف أبوسنة دهب لولى • خليع القبيلة • المعلم التاسع • المعلم العاشر •• ناظر مدرسة ابن العميد • مجاهد بن الشماخ كافور الحاوى أغا كافور الحاوى – على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك دنانير ومعبد واياس • عميد الصعاليك • بازرعة بن شخبوط أغا طبوزادة • أبوفراس المنوفى • الفارس المفروس الفارس الجربوع • أفندم ؟• أفندم؟ (هذا قناع وليس سؤالا) الهر الأسود الحزين • الحرفوش بلا حرفشة • كاهن انوبيس •ابن روزنبرج أبو شوشة الحمى • ابن ماركوف • ابن بيركوف • آغا أبو سيفين صفيح • تاجر البهارات • الايديولوجى الفهلوى • أبو المعالى قطز • المملوك الشارد • جراب اليسار مسلول • حلاق الملوك والفقراء • المخلص الكفء • المخلص الراسى • الذاتى الموضوعى • بقال العروبة • بقال الاشتراكية • بقال الثقافة • الفارس المتعالى • على كل لون غلبان • على كل لون مفترى • على كل لون عياش • ذو الأقنعة السبعة • جوركى المذعور • المتكتك المحترم • المتكتك الدؤوب • المتكتك الخيبان • المتكتك الشريف •• حامل الحقائب •• لولو الجربان • غير مايستجد من شخصيات وأقنعة، وشخصيات بلا أقنعة وأقنعة بلا شخصيات وعدد عظيم من الكومبارس الذين يطلون برءوسهم لحظة أو لحظتين ليقولوا : « نعم ياسيدى » – ثم ينصرفوا الى الابد •

ومن غير المعقول طبعا أن يشترك كل هؤلاء في الحوار فى وقت واحد ، والا حدثت غاغة في عالم الفنون والآداب والعلوم الانسانية •ولهذا كان من الحكمة أن تنظم محاوراتهم على طريقة البرنامج الثانى أو القناة التاسعة ، أى ثلاثا ورباعا وخماسا وليس على طريقة الجمعيات العمومية غير العادية • ثم نشأت أثناء المداولات نقطة نظام •

اعترض معترض : وهل نحن بحاجة حقا الى كل هذه الشخصيات لنجيب على الاسئلة التى طرحها علينا أدباء المنصورة ؟

قلت : نعم ، وأكثر منها ، وسترى بنفسك • ولكن المهم هو

حفظ النظام حتى لايختلط الحق بالباطل أو نخرج من هذه المناقشات بلا ثمرة أو يختفي الابتسام ونتضارب وكأننا أعضاء البرلمان الفرنسي في الجمهورية الثالثة .

قال علي الزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك : أنا معترض على هذه الأقنعة التي صنعتها لنا . خذ مثلا قناعي . انه لايناسبني، وسيظن الناس طول الوقت اني شخص آخر .

قلت : لاتغضب ، انما يلام صاحب الاقنعة لانه أبى أن يعاونني . ومع ذلك ألم نتفق على أن يتم كل شيء في ابتسام ؟ اذ لم يعجبك اجتهادي فأنا مستعد للعدول عنه ، أي قناع تقترح لنفسك ؟

وهنا سكت علي الزيبق متدبرا ، وطال سكوته حتى مل الحاضرون .

وحل صانع الأقنعة هذه المشكلة بقوله : حتى لا نتعطل كثيرا، أنا أعدكم بأني سأصنع قناعا جديدا لكل من يضيق بقناعه . لابد من نقطة ابتداء والمهم أن نتقدم من هذه النقطة .

فهز الجميع رءوسهم علامة الموافقة فقد كانوا يكنون للشيخ احتراما عميقا وشاع في الاسارير سرور غامر .

اعترض الايديولوجي الفهلوي قائلا : أنا أعترض على كل هذه الماسكات لانها جميعها ممسوخة ، وهي تظهر أدباء مصر وفنانيها في مظهر زري وتحقرهم في عيون مواطنيهم .

قلت : انت تغالي . وما دمنا قد اتفقنا على الابتسام فأول شرط من شروط الابتسام هو قدرة كل منا على أن يسخر من نفسه ومن قناعه . واذا أردت أن تسميني المادي الميتافيزيقي أو البروليتاري البورجوازي أو حتى صبي المبشرين فلن أغضب . أنا أسمي نفسي مركب الموضوع اللامركب من لا موضوع ، واذا وجدت أردأ من هذا فاقترحه . وأحمد الله اني لم أتشبه بكليلة ودمنة أو بحواديت ايسوب ولافونتين فأصنع لكم أقنعة من رءوس الحيوانات .. كلاب وذئاب وأبناء آوى وقطط . وكما كانوا يفعلون بآلهة مصر القديمة وفي أعباد ديونيزوس في اليونان القديمة ولا يزالون يفعلون في الديانات الزوومورفية في بعض البلاد المتحررة حديثا أو في بعض الاجناس التي لاتريد أن

تنقرض مثل الهموه الحمر .

ثم لاتنس أن أقنعتى أقنعة لنماذج بشرية شائعة لأدباءمصر وفنانيها ، وليست نماذج لأناس بعينهم ، فنحن جميعا من طينة واحدة وحتى هذه القوالب قوالب متكررة . ابتسم ياأخى !

واقترح آخر : مادمت تتكلم عن النظام فلا بد من رئيس لهذا المؤتمر المفتوح ولابد من مقرر يدون كل الآراء .

قال رابع : فليكن الرئيس أكبر الأعضاء سنا .

قلت : تقصد المعلم التاسع ؟ هذا مستحيل . فليكن نائبه هو صانع الاقنعة . هل من معترض ؟

وهنا صاح الجميع : موافقون ! موافقون !

قلت : وليكن المقرر المعلم العاشر فهو سريع التدوين . هل من معترض ؟

وهنا سمعت أصواتا تزوم وأصواتا تتهلل وأصواتا تريد أن تقول شيئا ولكنها لا تقوله . غير أن أحدا لم يتقدم صراحة للاعتراض .

قلت : السكوت علامة الرضا . ومع ذلك فسيوزع عليكم المعلم العاشر كل محاضر الجلسات أولا بأول . ومن رأى فيها اى تحريف أمكنه أن يصححه .

قال المعلم العاشر : متململا : ولكنى أريد أن أشترك فى المحاورات لانى أعلم أنها ستدخل تاريخ الادب العربى فى القرن العشرين ، وأنا كما تقولون معلم ، والمعلم عنده دائما مايعلمه . ان المحاضر ستشغلنى عن الكلام، وهذه ستكون مأساة حياتى.

قلت : لا بأس عليك . سجل كل شىء بالريكوردر كما يفعل المقررون العصريون فى البلاد المتحضرة ، وتكلم ماشاء لك الله أن تتكلم .

وهذا سأل سائل : وهل هذه المحاضر للنشر .

أجبت : رأيى الخاص أنها للنشر حتى يحاسب كل منا فى كلامه ويحاسب على كلامه فلا نتراشق بالسباب أمام الناس كما يتراشق جمهور كرة القدم بزجاجات الكازوزة . فاذا

وافقتم . سلمنى المعلم العاشر محاضر محاوراتكم بعد التصديق عليها وأنا أتعهد لكم بنشرها في «الاهرام» أو في غير الاهرام .

وارتفعت أصــوات تقــول ان النشر سيحول دون الــكلام بصراحة ، رغبة أو رهبة ، وتجعل كلا منا يلبس قناعــا فوق القناع الذى يكســوه ، واذا كثرت الاقنعة ضــاعت الحقيقة . وطالب البعض بعقد جلسات سرية عند الاقتضاء .

قلت : لا جلســـات سرية ولا جمعيـــات سرية في عهـد الأشتراكية . عار أن يقول هذا أدباء مصر ونحن نحيا في ظل الميثاق .. من تحرج صدره بشيء فليقله على الملأ ولكن في حدود النظام . ألم تعلنوا جميعا أنكم بناة الاشتراكية والديمقراطية بالفكر والكلمة ؟ ان الميثاق سمح يدع كل الزهور تتفتح داخل الحديقة ، ونحن ولله الحمد جميعا نفيء بفيئها . أما من رأى لنفسه جنة غير هذه الجنينة فليمض اليها فهو ليس منا .

قالوا صدقت : من استودعه الله شرف الكلمة امتلأ بالروح وحمل العبء العظيم . فلنبدأ المحاورات على بركة الله .

فى العصر الذهبى

دق رئيس المؤتمر ، وهوى صانع الاقنعة بعصاه على الارض ثلاثا كما يفعل القاضى على المنصة ، أو كما يدقون فى المسرح قبل رفع الستار وقال :

ـ باسم ربات الفنون التسع نفتتح هذا المؤتمر ..

ثم استدرك قائلا : أقصد الربات التسع لا الفنون التسع لان الفنون سبعة ولا أعرف كيف جعل اليونان تسع ربات يشرفن على سبعة فنون ، ثم انى لا أفهم كيف جعل اليونان الفلك من اختصاص ربات الفنون .. ومع ذلك فالينا بجدول الاعمال .. ماهى القضية الاولى أيها السيد المقرر ؟

قال المقرر ، وهو المعلم العاشر :

ـ كان أول سؤال هو سؤال طرحه شاب فى مهرجان المنصورة .. نسمع كثيرا عن الرجعية والتقدمية فما تعريف الرجعية وما تعريف التقدمية وهل هناك مقاييس نستطيع أن نحكم بها على رجل ما نستمع له أو نقرأ له أو نرى سلوكه فى الحياة بأنه رجعى أو تقدمى ، ثم ما صحة ما قرأناه فى

مجلة « المصور ». من استشراء الرجعية في البـلاد في زمن الزحف الاشتراكي ؟ أحمد بهاء الدين قال أن هناك سـتمائة ألف رجعي مقابل ستمائة تقدمي ··

قال « المخلص الراسي » : أحمـد بهـاء الدين قال مقـابل ستمائة شيوعي ، ولم يقل مقابل ستمائة تقدمي ·· اذا أردت احصاء التقدميين ففي البلاد ستة ملايين تقدمي ··

قال الايديولوجي الفهلوي :هذا يعقد الامور لان الشيوعيين المصريين منذ الاربعينات يحتكرون لقب التقدميين ، وهذا قـد يحدث لبسا لانه قد يوحي بأن البلاد فيها ستة ملايين شيوعي ·· والحقيقة أن البلاد فيها ، منـذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ستة ملايين تقدمي أما الشيوعيون فعددهم لا يتجاوز ستمائة ··· أرجو النص يا سيدي الرئيس على هذه الاعداد ٦٠٠ شيوعي ···و٦٠٠ رجعي ٦ ملايين تقدمي ، والا حدثت بلبلة ··

صانع الأقنعة : لا داعي للنص ، فالمسألة واضحة ·· ومن له تحفظ فليؤجله الى آخر المناقشة ·· هذه نقطة نظام ··

الفارس المفروس : أولا أنا أحب أن أجيب على النقطةالأخيرة وهي استشراء الرجعية بالذات في عهد الزحف الاشتراكي ·· ليس صحيحا أن هناك استشراء للفكر الرجعي ازاء التجـدد الاشتراكي لان الاستشراء لا يكون استشراء ألا اذا استشرى · والدليل على أنه ليس هناك استشراء أن وزارة الثقافة آنشأت في ٢٣ يوليو ١٩٦٣ مجمـوعة من المجلات تلقفتها الرجعيـة لتأليب المثقفين على مبادىء ميثاق ١٥ مايو ١٩٦٢ وكان أهمها المغفور لهما « الرسالة » و « الثقافة » وقد فعلت هذه المجـلات كل مافي وسعها لتلفت الانظار ، فجمـع كتابها كـل مافي الحواري من طوب وزلط وقطع حديد خردة وصـفائح سردين فارغة وزجاجات مكسورة وبلغ قديمة وأخذوا يرشقون بهـا المارة دون تمييز ومـع ذلكلم يلتفت اليهم أحـد ·· وجربوا تلعيب الحواجب واخراج اللسان وبطح النفس على طريقـة الفلاحين المصريين لا على طريقة فقراء الهنود ، ومع ذلك لم يجد أحد في ذلك تسلية كبيرة ·· ولما يئسوا جربوا اللعب بالنار

والمفرقعات فلم يخرج منها شيء أكثر من القمر والنجوم ويوميه العيد ، اسالوا ناظر مدرسة ابن العميد ، وهو رئيسهم ... انه جالس هنـــاك .. رغم كل هذه الالاعيب لـم يزد توزيع « الرســالة » عن ٢٠٠٠ نســـخة . بـــدأ ٥٠٠٠ وانتهى ٢٠٠٠ كيف تفسروا هذه الظاهرة ؟ أقول أن ماجد منذ الزحف الاشتراكي ليس ازدهارالرجعية بين المثقفين وانما مجرد تجمع عصابات مدربة معادية للاشتراكية ..

ناظر مدرسة ابن العميد : هـذا كذب « الرسـالة » كانت توزع نصف مليون نسخة ..

صانع الأقنعة : يافارس يامفـــروس اسـكت .. احترم شيخوخه حضرة الناظر ..

على المرء أن يسعى وليس عليه ادراك النجاح ..

الفارس المفروس : أنا فقط أردت أن أوضح أن البلد بخير

الخشداش ايواظ : وكيف البت « الثقافة » و « الرسالة » المثقفين على مبادىء الميثاق ؟

على الزيبق الجوكى : أنا أجيب على هذا السؤال .. الميثاق نادى بالتقدمية وانتظر الى الامام ، ومجـــلات وزارة الثقافة نادت الرجعية وعبادة السلف .. الميثاق نادى بمساواة المرأة بالرجل وبتحرير المرأة من أغلالها ، ومجلات وزارة الثقافة نادت بانحطاط المرأة وبضرورة اعتقالها في الحريم .. الميثاق نادى بالاشتراكية العلمية ومجلات وزارة الثقافة نادت بالاشتراكية البورقيبية .. الميثاق مجد رفاعة الطهطاوى ولطفى الســـيد وبفلسفة الاخذ والعطاء مع الحضارات الاخرى ومجلات وزارة الثقافة مجدت اغلاق النوافذ وتحسرت على انســلاخ مصر من الامبراطورية العثمانية .. الميثاق دعا لتنظيم الاسرة كجزء من برنامج التنمية ومجلات وزارة الثقافة كافحت تنظيم الاسرة . الميثاق دعا لتجديد الحيـاة على أرض مصر بالتجربة والخطأ فى الفكر والادب والفن والعلم والاقتصاد ، ومجلات وزارة الثقافة أعلنت أن كل تجديد خروج على الدين والقومية وعــلى تراث الآباء والاجداد .. بل أكثر من هذا .. ففى عصر الاقيمـــار

الصناعية والاوتوماسيون نشرت مجلات وزارة الثقافة أبحاثا ضافية لاثبات وجود العفاريت والبعابيع ٠٠ كل هـذا مدون بالحرف الواحد فى مجلات وزارة الثقافة ٠٠

صانع الاقنعة : انتقلوا الى الموضوع الاصلى ٠٠

المعلم العاشر : عنـدى تعريف للرجعيـة وهو تعـريف أنيمولوجى وعضوى فى وقت واحد ٠٠ الرجعية من رجع يرجع والرجوع طبعاً لايكون الا الى الوراء ٠ ٠ولم نر قط رجوعا الى الامام الا فى حالة واحدة هى بغلة البهاء زهير حيث يقول :

لك يا صـديقى بغلـة
ليسـت تساوى خردلة
تمشى فتحسبها العيـو
ن عـلى الطريق مشـكلة
وتخـال مـدبرة اذا
ما أقبلت مسـتعجلة
مقـدار خطـوتها الطو
لة حـين تسرع أنملـه
تهتز وهى مكانهـا
فكأنمـا هى زلـزلة ٠ ٠

أو على الاصـح : بغلة البهاء زهير تتقـدم الى الوراء ومن يستطيع أن يتقدم الى الوراء يستطيع أيضا أن يرجع الى الامام فالرجعي اذن هو من أراد للمجتمع أو لنفسه أن يرجع الى الوراء ٠٠ وأما منشؤها فهو اعتقاد الانسان أن حياة القدماء ، حياة الآباء والاجداد ــ والاجداد قبـل الآباء ــ كانت العصر الذهبى للحياة أى حين كان الرجال رجالا ، قامة كل منهـم متران ٠٠

ومن الناس من يعتقـد أن الارض سـكنها العمالقـة بالفعـل قبـل أن يسـكنها البشر ٠٠٠٠ وبالطبـع فى هذه الرؤيا للعصر الذهبى محال أن يكون هناك مكان لداروين ولامارك وعامة أصحاب التطور المساكين أو الملاعين ، لان الاحياء كانوا كاملين ثم انحطوا درجة درجة مع توالى العصور والدهور حتى آلوا الى هذا المسخ الذى نراه اليوم ، ولم يكونوا أنواعا

ساذجة ثم تطورت وارتقت درجة درجة حتى خرج منها انسان اليوم ٠

صانع الأقنعة : على العموم « الرسـالة » و « الثقافة » أغلقتا فى أوائل صيف ١٩٦٥ ، والضرب فى الميت حرام ٠

الايديولوجى الفهلوى : بعد اذنك يا سيدى الرئيس المنابر ماتت ، نعم ٠ أما الافكار فهى لا تزال ترعص ٠ ومن وقت لآخر يتجمع أصحابها مثل جماعات الكلـ لوكس كلان ويلبسون الزعابيط والطراطير البيضاء كالاشباح ، ويرقصون حول النار ، ويطلقون السهام والاعيرة النارية مثل الهنود الحمر والعيار الذى لا يصيب يدوش ٠ فيحسب الناس أنهم جيش من التتر ويدخلون البيوت ويختبئون ٠

ثم هناك مسألة التوثيق ٠ فالمؤرخ سنة ٢٠٠٠ لثقافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ لن يعرف أن هذه المجلات ماتت بالسكتة القلبية ٠٠ من قلة التوزيع ٠٠ سيدهش حين لا يجد كلمة واحدة فى صحافة مصر بين ١٩٦٣ و ١٩٦٥ ترد على ترهات مدرسه ابن العميد والخشداش أيواظ وعز الدين ايدمر المحيوى وأغاطبو زاده ، سيظن المؤرخ من نبرتها المجلجلة أنها كانت تقود الرأى العام ضد الميثاق ، لابد من سجل يعرف منه المؤرخ أن فى السويداء رجالا ٠٠ نحن لم نرفع الراية البيضاء ، والحرب لم تنته بعد ٠٠

أبو الفتوح الصباح : اذا كانت هذه هى الرجعية فانا رجعى ، ولتحيا الرجعية ٠٠

الخشداش أيواظ : فلتحيا الرجعية ٠٠

كوارس من عز الدين أيدمر واغا طبوزادة وأبو المعالى قطز وبازرعة بن شخبوط : فلتحيا الرجعية ٠٠

مجاهد بن الشماخ : أنا سبق لى أن أوضحت كل هذا فى مجلة «الرسالة» وثبت أن الرجعية هى حياة السلف الصالح وان كل سلف صالح ٠٠ اهتفوا معى : فلتحيا الرجعية ٠٠ فليحيا العصر الذهبى ٠٠

الشدداش أيواظ : فليحيا الآباء والأجداد ..

كوراس ايدمروطبوزادة وقطر وشخبوط : فلتحيا الرجعية فليحيا العصر الذهبى ، فلتحيا السلف ..

كافور الخاوى : إحذروا ياسادة .. هذا كمين .. لاتقولوا فلتحيا الرجعية .. كونوا رجعيين ولكن اهتفوا فلتسقط الرجعية .. وليكن هتافكم أعلى من هتاف التقدميين .. هذا منطق العصر .. كونوا رجعيين عصريين ، وأنا معكم ، أنا مثلا رجعى عصرى : عندى دكتوراه من الخارج والبس جاكتة سكوتش وأضع المنديل فى كمى واشرب البيبه .. فلايتصور أحد أنى رجعى . ولكنى مع ذلك رجعى وعندى أن كل الرجال عبيد وان كل النساء اماء ، أنا طبعا لاأجاهر بهذا لان عصرى ولكنى أطبقه عمليا .. وفى الثقافة مثلا . كنت أساعد الحلفاء أيام الحرب بتجنيد المثقفين لمؤازرة العالم الحر فلما اتوكسوا فى العلمين وجدت أن صالح الوطن وصالحى يقضيان بأن أدرس كتاب « كفاحى » وأن أهتم بنيتشه وفاجنر . . فلما سطع نجم حسن البنا وهنرى كوربيل فى وقت واحد ارتبكت قليلا ، ولكنى وجدت الحل : دخلت الاخوان سرا وتزوجت من ماركسية علنا لاهديها الى الصراط المستقيم .. كل هذا مع محافظتى دائما على صلاتى بالديوان الملكى ثم دخلت لجنة النقطة الرابعة . وهاأنذا اليوم أرتع فى جنة الاشتراكية العربية كما ترون ، ومع ذلك فأنا لم أتغير .. سلطتى زادت وشهرتى زادت ومحفظتى زادت .. طبعا سمعتى ساءت بين المثقفين ولكن ماذا يهم .. يقولون أنى انتهازى .. ولكنهم مغفلون ، لانى فى الواقع رجعى .. رجعى عصرى .. وهناك آلاف مثلى ، رجعيون عصريون .. كلهم تعلموا فى الخارج وكلهم يشربون البيبة ويضعون المناديل فى أكمامهم ، ومع ذلك ليست لهم سمعة اطلاقا .. فلماذا كل هذا الضجيج حول سمعتى ؟ أنا انتهازى ؟ فليكن .. ربما كنت أنتهز ، ولكنى لا أنتهز لنفسى فقط وانما أنتهز لمبدئى أيضا ــ أليس هذا مايفعله على الزيبق الجوكى ؟ هو يفعل نفس الشىء ويسميه « مرحلية » ، لانه

جوكي ·· لانه مولع بالسباق ·· عندي ان المرحلية هي المعادل الموضوعي للانتهازية على النطاق السلوكي ·· المعادل هو القناع أو البرقع ·· القناع للمذعورين ·· البرقع للضعفاء ·· وأنا قوي ، فأنا بغير حاجة الى معادل ·· أنا أدخل رأسا في الموضوع الكارت على المائدة ·· وأنا قوي لاني حللت مشكلة الضمير ·· لاأقنعه ··· لا براقع لا ضمير ·· لا نفاق ·· لهذا أنا واضح ومفهوم أما على الزيبق لجوكي فغير واضح وغير مفهوم ·· المهم أن يخدم الانسان مبدأه في كل زمان ومكان وتحت أي ظروف ·· وما جدوى المبدأ بغير صاحب المبدأ ؟ لهذا كان شعاري دائما « انج بجلدك » ·· وأفضل طريقة معروفة للنجاة بالجلد هي تغيير الجلد ، وعندي أن تغيير الجلد أفضل من لبس القناع ·· وبلا قناع أقول أنا مبدئي الفردية لاني فرد ·· أنا أعرف أني أنا ولست غيري ·· والوجود عندي مكون من « أنا » في طرف و « الآخرين » في الطرف الآخر ·· والآخرون لا وجود لهم الا من خلالي ، فوجودي هو دليل وجودهم ·· أنا أعرف اني فرد ولست جماعة ·· وسأظل فردا حتى يثبت لي ابن سيركوف وابن موركوف أني جماعة ·· ولكن ليس من الحكمة الآن أن أعلن في كل مكان أني فرد مادام كل فرد في مصر يصر على أنه جماعة ·· أنا باختصار وصلت لحل المعادلة الصعبة وهي كيف تكون فردا وجماعة في وقت واحد بالمعادل الموضوعي : أنا والكون طرفا المعادلة ·· والكون هو معادلي الموضوعي على النطاق الفلسفي ·· في الواقع ليست هناك مشكلة حقيقية أيها السادة ·· أنا اكتشفت أولا أن التقدمية هي أن أتقدم أنا في المناصب وفي الثروة وفي السلطة وفي السلم الاجتماعي ، واكتشفت ثانيا أن كل الناس أدوات للتقدم ، وبالتالي يجب أن يكونوا أدوات لتقدمي ·· وبهذا أصبحت المشكلة كلها عندي مشكلة لغوية ·· أنا اكتشفت أن اللغة أداة للتفاهم ·· أداة للاقناع ·· اكتشفت أنه باللغة يمكن اثبات أي شيء وكل شيء ··· كل الناس تحاسبني على كلامي ··

لم أجد أحدا يحاسبني على أفكارى أو أعمالى ·· الفرق بيني وبين على الزيبق الجوكى هو أنه يريد اقناع نفسه قبل اقناع الغير ·· أما أنا فاكتفى باقناع الغير ·· كل هذا بسبب الضمير وأنا تخلصت من مشكلة الضمير ·· أنا وضعت فى حجرة نومى لافتة بالخط الثلث بكلمات سيد درويش الخالدة : « عشان ما نعلى ونعلى ونعلى لازم نطاطى نطاطى نطاطى » ، حتى افتح عليها عينى كل صباح وتكون آخر ما أراه قبل النوم ·· ولكن المؤسف فقط هو أنى لم أصل الى شىء كثير يتناسب مع مواهبى ·· ولكنى مع ذلك وصلت لشىء ·· ثم لابد من تفصيل لغة لكل مخاطب ···· مثلا : عندما تخاطب الكلب قل : ياسيدى ·· فيفرح الكلب ويعتقد أنه الانسان وانك أنت الكلب ·· مثلا ، ان كنت فى بلد تعبد العجل ، فحش ، وارم له ·· وهذه لغة عملية موضحة بالفعل والشرح المادى الملموس ·· العجل الآن هو الاشتراكية التقدمية · حشوا أيها السادة ·· وارموا أيها السادة ، حتى يتخم العجل ويكبس الحشيش على نفسه فينام ، وينام ، وينام من الوخم ، وعندئذ تقدموا أنتم بالسكاكين ·· أيها الرجعيون طهروا صفوفكم من الاغبياء اهتفوا معى : فلتسقط المرأة الذهبية : فلتحيا المرأة المتحررة ·· أيها الفرديون ! اهتفوا معى : فلتحيا الاشتراكية ! تحيا وحدة الانتهازيين والمرحليين ··

الذاتى الموضوعى : بالضبط ·· بالضبط هذا من أوليات الوضعية المنطقية ··

أبو الفتوح الصباح : كلا ·· كلا ·· فليسقط داروين ·· فليسقط لامارك ··

مجاهد بن الشماخ : نعم ·· فليسقط المبشرون · ·فليحيا السلف ·· فليحيا العصر الذهبى ··

صانع الأقنعة : النظام ·· النظام ·· فلنعد الى الموضوع ·· استمر ··

المعلم العاشر : نعود الى تعريف الرجعية ·· أقول : كانت النساء نساء فى العصر الذهبى ·· وهنا تختلف الافكار عن

نساء العصر الذهبي المنسوخ بحسب ظروف كل منا ، ولا سيما ظروفه المنزلية ٠٠ فبعضنا يتأوه على ضياع سلطان الرجل حتى في عقر داره ، ويندب الايام التى كان الرجل فيها يقطب فيرتجف كل من حوله من أناث وبنين ، أو يزعق فتتشقق جدران البيت وتتعلق أنفاس الهواء فرقا ٠٠ وبعضنا يتأوه على ضياع أنوثة الاناث ويستغرق فى أحلام زشيدية ، أكثرها خرج من ألف ليلة وليلة ، عن نساء يجدن التعطر والتطيب ويلبسن سراويل الخز والدمقس ، ويسدلن على وجوههن نقابا أرق من نسيج العنكبوت ، وقد جلسن على أرائك يدندن على العود أو يرقصن وهن يشخشخن على الصنوج وهناك نماذج

قليلة باقية الى اليوم من هذه الاجناس المنقرضة يرأها السياح عادة فى كباريهات القاهرة بين منتصف الليل والواحدة صباحا ، ويراها المصريون كثيرا فى التلفزيون العربى وفى أفلامنا القومية ، ولكن النفس تعافها لانها تدندن للجميع وتشخشخ للجميع ، أما نساء الزمان الغابر فكن يدندن ويشخشخن كل لرجلها فقط وهذه مأساة عصرنا ٠٠ هذه الصورة الجميلة العاطرة لاناث الامس يقابلها بعضنا بصورة أناث اليوم المسترجلات ، منهن من يلبسن البنطلونات فعلا ويلعبن الالعاب الرياضية ، وحين يطلبن المرح يدبدبن بأرجلهن فى جنون على الباركيه فى السوينج والتويست والروك أند رول ويسمين هذه الدبدبة رقصا ! كل هذا يدل على انحطاط الانسانية وأفول عصرها الذهبى ، لان الرجال لم يعودوا رجالا والنساء لم يعدن نساء وكل شيء آيل الى فساد ٠٠

ابو الفتوح الصباح : ماكل هذا الكلام الفارغ ٠٠ نحن لم نأت هنا لنسمع هذا اللغو عن الدندنة والشخشخة وعن النساء المستهترات ٠٠ تكلم في الموضوعات الجادة ٠٠٠ تكلم عن مخافة الله ، عن الصوم والصلاة ، عن عدل الولاة ٠٠ عن تآخي المؤمنين ٠٠ تكلم عن طاعة القلوب ٠٠ عن سياسة الرعية ٠ عن تقوى العباد ٠٠ كل هذه أمور تهم المجتمع ٠ أما هذه الاحلام الرشيدية عن النساء فهى من مظاهر انحطاط المجتمع بعد أن فقد الدين

سلطانه على النفوس أيام المدنية العباسية .. تكلم عن السلف الصالح ..

المعلم العاشر : أنا أبدأ بالمرأة لان المرأة نصف المجتمع ... أعتقد ان كل مجتمع فيه نساء بنسبة ٥٠٪ على الاقل ، واحصاءات هيئة الامم المتحدة تؤكد أن عدد النساء في العالم أكثر من عدد الرجال ، أنا لاأستطيع أن أتجاهل ٥٠٪ من البشر .. حتى السلف كان بينهم دائما ٥٠٪ من النساء .. أنا أعتقد أن أى كلام عن المجتمع لا يبدأ بالحديث عن النساء كلام فارغ ومضلل . خذ أى شريحة في المجتمع تجد أن نصفها من النساء ... الطبقة الحاكمة نصفها من النساء ..

الذاتي الموضوعي : هذا صحيح من الناحية المنطقية ... الكلام يكون أولا عن الجنس ثم عن النوع ثم عن الفصل ثم عن الخاصة ثم عن العرض العام ، ومنهج المعلم العاشر متمش مع منهج أرسطو في الاورجانون ...

أبو الفتوح الصباح : اذن دعونا من الدندنة والشخشخة وذكر هذه المنكرات .. الرؤيا الرشيدية لرجال العصر الذهبي ونسائه ليست سائدة في عقول الكثيرين فأكثر المتأوهين على ضياع العصر الذهبي لايفتقدون ضياع الأنوثة في النساء بل يفتقدون ضياع الرجولة في النساء : أيام أن كانت المرأة مبنى ومعنى ، شكلا ومضمونا ، جدا في جد . تقف صاغرة أمام وليها ولكنها تقف كالرمح السمهري أمام الآخرين .. اذا وقفت ، كلا . أنا آسف هذه أيضا ليست صورة صحيحة لنساء العصر الذهبي ، لانها صورة امازونية يونانية من النساء المحاربات . وهذه لها مايقابلها حقا في الادب العربي القديم حيث نجد الزباء والخنساء وجليلة بنت مرة وزرقاء اليمامة والاميرة ذات الهمة وشجرة الدر يبرزن مثل جان دارك بروز الرجال للرجال مستصرخات أو مستنهضات أو مبارزات وهن ينشدن النشيد القومي الذى ألفه عمرو بن كلثوم وضاعت منا نوتته الموسيقية :

ألا هبي بصحنك فأصبحينا
ولا تبقى خمور الاندرينا
اذا بلغ الفطام لنا رضيع

تخر له الجبابر ساجدينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا
ونحن البحر نملؤه سفينا

ولكن هذه الصورة برغم هذا صورة غير تقليدية عن نساء العصر الذهبي . فنساء العصر الذهبي كن يقرن في بيوتهن ولا يسفرن الا لذوي الارحام من المحارم أو الغلمان — دون سن البلوغ ، ومن باب أولى لايتبرجن الا لأزواجهن . وهنا تختلف الآراء في تحديد معنى العورة ، وفيما يجوز فيه السفور ومداه، فمن قائل انه كان يقتصر على الوجه واليدين ومن قائل ان الخمار عادة تركية دخيلة على نساء العرب ، الخ .. وأيا كان الامر فهذه التفاصيل الشائكة كلها لاتهم الا المجتهدين . وانما المهم هو الصورة العامة والصورة العامة هي أن نساء العصر الذهبي كن نساء فضليات، ومقياس الفضيلة أنهن كن يعشن لأزواجهن وفي أزواجهن : يرتبن لهم طعامهم ومنامهم ويلدن لهم بنيهم ويسهرن على تربية هؤلاء البنين . فاذا أخذت احداهن من العلم شيئا فهو لايخرج عن حدود وظيفتها الاولى في الحياة وهي الاطعام والانامة وتربية الاولاد والبنات حتى التاسعة والحادية عشرة بحسب الجنس . قارنوا هذا بنساء اليوم المارقات الابقات الناشزات اللواتي يهجرن البيوت ويتعلمن اللغات والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والفيزياء والكيمياء وحساب المثلثات واللوغاريتمات ويشتغلن بالطب والقانون والصيدلة والبيطرة والهندسة والتعدين والغزل والنسيج والمحاسبة والادارة والسكرتارية والصحافة والنحت والتصوير والعزف والتمثيل والرقص الايقاعي وغير الايقاعي أمام الجمهور . حتى غزو الفضاء دخلت فيه فالنتينا . وهي كلها معارف لاتفيد في اطعام زوج أو انامة حليل أو تربية بنين . بل قارنوا هذا بنساء اليوم الفاجرات اللواتي يتبرجن أمام الخاص والعام بمستحضرات ماكس فاكتور وهيلينا روبنشتاين وبتقاليع جاك فات وكريستيان ديور ، ويبدين فتنتهن في السينما والمسرح وفي الشارع والنادي ، ويخرجن شبه عرايا على البلاجات . قارنوا وقارنوا تروا أن نساء العصر الذهبي كن مثال الفضيلة

أما نساء اليوم فهن مثال الرذيله .

أبو الفتوح الصباح : أحسنت يا أستاذ أحسنت .

المعلم العاشر : هل كنت أمينا في وصف نساء العصر الذهبي ؟

أبو الفتـوح الصباح : غاية في الامانة هكذا كانت نسـاء السلف الصالح . ولن تقوم لمجتمعنا قائمة الا اذا رجعت نساؤنا الى الفضيلة الاولى .

على الزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك : اذا كان هـذا رأيك فلماذا ارسلت بنتك الصغرى يمفردها لتدرس الهندسـة في لندن بين غير ذوى الارحـام وغير المحـارم وكلهم عيونهم زرق وتجاوزوا سن البلوغ ؟ الاتخشى عليها من الفتنة ؟ ثم أني رأيت السيدة المصـونة زوجتك مع بنتيك الناهدتين خارجتين أول أمس من « ايرمالادوس » في سينما قصر النيل ..

أبو الفتوح الصباح : اخرس ياولد .

صانع الأقنعة : التهجم الشخصي ممنوع أعتذر له .

على الزيبق : متأسف .

صانع الأقنعة : هل الترضية تكفى ؟

أبو الفتوح الصباح : مؤقتا حتى نخرج من هنا . وسأحطم وجهه .

الايديلوجى الفهلـوى : حذار . عـلى الزيبق لايحطـم لانه كالزنبرك ، كالياى الاصلى ينكمش وينفرد بمرونة شديدة وبقوة شديدة واذا لم تلتفت لنفسك فربما انفرد بك فوجدت نفسك طائرا في الهواء .

المعلم العاشر : هل أنت واثق من أنك وصفت نساء العصر الذهبى بامانة ؟

أبو الفتوح الصباح : بالتأكيد .

المعلم العاشر : وكيف تأكدت ؟

أبو الفتوح الصباح : كيف تأكدت ؟

المعلم العاشر : نعم كيف تأكدت . هل رأيتهن بعينيك .

أبو الفتوح الصباح : ماهذه السخافة طبعالا . نحن نعرف هذا من كلام السلف من كتب القدماء ..

المعلم العاشر : هل تقبل كتب السلف كمرآة للحياة في ذلك العصر .

مجاهد بن الشماخ : وهل هناك مرآة غيرها ؟ أسألوني عن أى شيء في أدب العرب ، من جدى الشماخ بن ضرار في الجاهلية الى آن غربت شمس الأندلس أتكلم بالخبر اليقين . والعصر المملوكي التركي والتركي المملوكي آيضا اذا أردتم وكل شيء حدث منذ بونابرت اللعين حتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . أما بعد هذا فذاكرتي لاتعى شيئا لان الحوادث كانت اسرع من قدرتي على التعلم .

المعلم العاشر : اتفقنا اذن . الادب مرآة الحياة . ولكن الدلائل تدل ، بحسب ما يعرفه عشاق الادب العربي ، على أن نساء العصر الذهبي ، ولاسيما الارستقراطيات وبنات العائلات كن لايختلفن كثيرا عن نساء اليوم . انظر مثلا الى المعرى . المعرى كتب نحو عشر قصائد في اللزوميات يندد بتعليم البنات ، ومعنى هذا أن العرب في زمن المعرى كانت عندهم مدارس بنات . ربما لم تكن اسماؤها بنباقادن الثانوية للبنات أو مدرسة أم المحسنين ، ولكنها كانت مدارس بنات على كل حال . ولو أن المعرى كتب قصيدة واحدة ضد تعليم المرأة لقلنا أنه ربما اغتاظ من قريبة أو جارة ارادت أن تتفلسف أو تتحذلق فأرسلت بنتها الى المدرسة ، ولكن عودته الى هذا الموضوع مرارا وتكرارا يدل على أنه كان يناهض ظاهرة اجتماعية متفشية ، كما كان قاسم أمين أو لطفى السيد مثلا ، على العكس منه ، يكتبان مرارا وتكرارا في ضرورة تعلم المرأة فنفهم من ذلك عزوف المصريين وقتئذ عن تعليم بناتهم . واذا لم تكن هناك مدارس بنات فلابد أنه كان هناك مدرسون خصوصيون يترددون على البيوت .. والأرجح ان العرب عرفوا المدارس والدروس الخصوصية على السواء ، المدارس لابناء وبنات الناس العاديين والدروس الخصوصية لابناء وبنات الذوات . حتى الجوارى والعبيد نعرف من المعرى أن منهم من كان متعلما فهو يحدثنا في « رسالة الغفران » عن الجارية توفيق السوداء التى كانت تعمل فتاة مكتبة في مكتبة بغداد أيام المأمون تناول الكتب للقراء والنساخ

ومحال أن نتصور أن الجارية توفيق كانت أمية ومع ذلك كانت تميز بين ديوان الحطيئة وديوان أبن الزبعرى ، فلابد أنها تعلمت سواء فيمدرسة أو على يد مدرس خصوصي .. صحيح أن بنات العصر الذهبي لم يشتغلن بالعلوم الرياضية والطبيعية ولكنهن اشتغلن بالتجارة والسياسة والحرب والادب وادارة الفنادق وكن يدرن الصالونات الادبية تماما مثل مدام دى مانتنون ومدام دى بارى ، وكن يقدن المظاهرات ، فانا لاأجد فرقا بين السيدة التى خرجت تستنهض همة المعتصم بالله بعد غزوة من غزوات الروم وتهتف : « وامعتصماه! » وبين لطيفة الزيات حين كانت تهتف عام ١٩٤٦ بين طلاب الجامعة : « فليسقط الاستعمار ! » أو « الكفاح كفاح الشعب ! » . أنا لا أجد فرقا أبدا بين نساء العصرالذهبى ونساء اليوم . ومن رأيى أن تمنح وزارة الثقافة منح تفرغ لنقاد مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » ليدرسوا من كتب العرب أنواع الاعمال التى كانت تزاولها نساء العرب وليدرسوا نسبة التعليم بين بنات العرب بدلا من الجلوس فى ناصية الشوارع وقذف المارة بالطوب .

صانع الاقنعة : أنت استوفيت هذه النقطة فانتقل لغيرها حتى نسمع غيرك قبل أن نأخذ الاصوات على القضية المطروحة وهى: هل هناك فرق بين نساء اليوم ونساء العصر الذهبى .

الايديولوجي الفهلوى : سيدى الرئيس القضية المطروحة أعم من ذلك . الاصوات ينبغى أن تؤخذ على الوجه التالى : هل هناك عصر ذهبي وعصر فضي وعصر برونزى وعصر حديدى كما كان يقول ادباء أوروبا ؟

المعلم العاشر : أنا أقول أن العصر الذهبى خرافة ابتكرها خيال هسيود فى « الثيوجونيا » فى القرن التاسع ق . م . ثم تبنتها الرجعية الاوربية لتثبت أن الامس كان خيرا من اليوم ولتجعل عيون الناس فى أقفيتهم فينظروا دائما الى الوراء .

. وسأعود الى هذه النقطة بعد أن أفرغ من الكلام عن نساء العرب . الشعر العربى وحده كاف لاثبات أن نساء العصر

الذهبى كن لا يختلفن كثيرا عن نساء اليوم • امرؤ القيس مثلا قال في شعر سيدة من سيدات المجتمع :

غدائره مستشزرات الى العــلا
تضـــل العقاص فى مثنى ومرسل

وهذا يثبت أنها كانت تتردد على الكوافير بانتظام وتجرب مودة الكريباج والبوستيش والشينيون والكاتوجان •والا فكيف استشزرت (أى اشرأبت) غدائر المحبوبة الى العلا ، وكيف تاهت الامشاط بين الشعر المرسل والشعر المجدول ؟ وامرؤ القيس كان دائما يتتبع مودة الشعر فهو القائل فى مودة ديل الحصان :

وفرع يزين المتن أســـود فاحم
أثيث كقنــو النخـــلة المتعثــكل

أى شعر يزين الظهر كثيفا الخ ••• وليس من الضرورى ان يكون الكوافير سقراط أو انطوان تنتقل النساء الى دكانه فالارجح أنه كان بلانة من طراز راق يتردد أبونيه على قصور أمراء العرب أو كوافيره خصوصية فى بلاط الملوك •

أبو الفتوح الصباح : الجاهلية ليست مقياسا للعصر الذهبى لان الجاهلية الاولى عرفت بالتبرج ، وربما بقيت بعض تقاليد من هذا التبرج فى الجاهلية المتاخرة •• العصر الذهبى يبدأ بالمائة الاولى •••

المعلم العاشر : ومتى ينتهى ؟

صانع الأقنعة : اسحب هذا السؤال لانه سيبدأ الشغب • أنظر • هناك من يصيح : العرب فسدوا بعد الخلفاء الراشدين • الشاب الظريف أبو سنة دهب لولى يهتف تحيا ذكرى أبو نواس بلا ذهب الا ذهب العباسيين ! أبوفراس المنوفى يصيح : مولاى لاتنس الاندلسيين أسحب هذا السؤال •

المعلم العاشر : سحبته • سأتكلم عن المائة الاولى فقط فالكل متفق عليها لانها كانت عصر الفتوحات العظيمة • أذ أقول أن نســـاء العصر الذهبى فى المائة الاولى كن يعرفن مودة مارى انطوانيت فى تصفيف الشعر ، بدليل قول عمر بن أبى ربيعة :

ولهم اثيث كالكروم مذيل
حسن الغدائر جالك مضفور

وانهن كن يعرفن الكوافير بدليل قوله :

سبته بوحف في العقاص موجل
أثيث كقبـــو النخلة المتـكور

وانهن يعرفن المانكير بدليل قوله :

ومخضب رخص البنان كأنه
علم ومنتفـخ النطاق وثير

فاستعمال الاكلادور اذن لم ينتشر فى عصور الانحطاط كما كانوا يعلموننا فى المدارس مستشهدين بقول القائل :

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت عـلى العنـاب بالبرد

اى عضت بأسنانها على أظافرها المدهونة ، وانما كان شائعا فى المائة الاولى ..

قال صانع الاقنعة : من أراد مزيدا من الشواهدعلى استعمال المانيكير والباديكير عند العرب فليرجع الى صبح الاعشى والى الاغانى لقد تجاوزنا الوقت المقرر .

رفعت الجلسة



في المرأة الذهبية وسلوكها الذهبي

. **صانع الاقنعة** : المعلم العاشر أوضح في الجلسة السابقة أن عنيزة صاحبة امرؤ القيس وعائشة بنت طلحة صاحبة عمر بن أبي ربيعة كانتا تترددان على الكوافير وتستعملان المـــانيكير ، واثبت من كلام المعري ان العرب كانت عندهم مدارس بنات • هل بينكم من ينكر هذا ؟

. **أبو الفتوح الصباح** : حتى اذا كان هذا صــحيحاً فلا بد أن الحلاقات ـ أستغفر الله ـ كن من النساء والمؤدبات كذلك ،وأن تعليم البنات كان يقف عند فك الخط وجدول الضرب وأصول الدين •

المعلم العاشر : ولكن تعليم البنين في العصر الذهبي كان يقف أيضا عند فك الخط وجدول الضرب وأصول الدين • نحن لم نسمع عن كليات حقوق وهندسة وصيدلة وطب بيطري ومعاهد تكنولوجيا في العصر الذهبي ، لان الحرف والصناعات كانت تتوارث في الاسرة وفي الورش يلقنها المعلمون للصبيان ،تماما كما كان يحدث في أوروبا في العصور الوسطى ••

علي الزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك : أبو الفتــوح الصباح يقترح اذن أن يصدر مجلس الامة تشريعين : قانون يحرم على

الرجال الاشتغال بمهنة كوافير السيدات وقانون بالغاء الكليات النظرية والعملية والمعاهد العليا والمدارس الثانوية والاعدادية حتى نرجع الى العصر الذهبي . يجب الاكتفاء بالتعليم الابتدائي .

مجاهد بن الشماخ : الوالي وليس مجلس الامة . فالعصر الذهبي لم تكن فيه مجالس أمة ولا هذه السخافات المستوردة التي تسمونها برلمانات .

صانع الاقنعة : نقطة نظام . هـذا خروج عن الموضـوع . موضوع نظام الحكم يبحث في جلسة قادمة .

أبو الفتوح الصباح: قانون الكوافيرات نعم . أما الغاء الجامعات وكل مراحل التعليم فوق الابتدائي . فهذا شطط واساءة فهم لمعنى الرجعية . العلم نور . وكل مزيد من التعليم نور على نور في قلب الانسان لا في عقله . واذا كان ذهب العصر الذهبي من عيار ١٤ فمن الأنفع أن تجعله عيار ٢٤ . وانما المهم أن يملأ العلم قلب الانسان بالايمان والفضيلة وألا تذهب البنات الى المدارس الا في الزى الرسمي لنساء العصر الذهبي . وقد نسى الميثاق أن ينص على هذا ، ولا بد من استكمال هذا النقص والزى الرسمي لنساء هذا العصر الذهبي هو الفستان المقفل عند الرقبة والمتدلى حتى الكعبين والاكمام الطويلة حتى الرسغين، أما الوجه فيمكن أن يسفر أثناء المحاضرات وفي أوقات العمل الرسمية ولكن لابد من طرحة على الرأس تخفي أولا عورة الشعر ويمكن ثانيا اسدالها ورفعها بحسب الظروف . اسدالها في الشارع مثلا ، وفي السينما أو المسرح وقت الانتراكت واضاءة الانوار . ويمكن لتسهيل هذه العملية التحكم في الطرحة بكردون وبكر يثبت في الحصر على طريقة الستائر . ثم لابد من قانون بتخصيص بلاجات خاصة بالنساء وبلاجات خاصة بالرجال . رحم الله الشيخ أبو العيون .

المعلم العاشر : هذه صورة غير دقيقة عن نساء العصر الذهبي فمن الشعر العربي نعرف أن نساء العصر الذهبي كن يتبخترن عرايا على البلاجات وأحيانا في غير البلاجات . خذ مثلا «المتجردة» زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة . كان النابغـة الذبيـاني يتجول في ابهاء قصرها فرآها تتجرد .. أعتقد انها كانت تتجرد

«داخل» الحمام ، وأن النابغة كان ينظر اليها من ثقب الباب ، لان الوصف يوحى بأنها كانت تحس بوجود متفــرج ، وقال النابغةالذبياني فيها :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه
فتنــاولته واتقتنــا باليــد

والنصيف ليس بالضبط البيكينى ، ولكنه أزار أو فوطةأو ربما بشكير ، وعلى أية حال فسقوطه كشفعنكل شىء ، ولهذا « اتقتنا باليد » • شعر القدماء يثبت أن نساء العصر الذهبى كن كنساء اليوم يتبخترن عرايا على بلاجات البصرة والحجاز • فمعلقة امرىء القيس تشير الى مغامرة كانت للملك الضليل على بلاج جلجل ، وهو شاطىء بركة بجــوار البصرة فيما يقــال ، فهو يقول :

الا رب يوم لك منهن صالح
ولا ســيما يوم بدارة جلجــل

وتفسيرها فى كتب العرب أن أمرأ القيس لعب نفس اللعبة التى لعبها من قبلهالاله كريشنا فى أدبالهنود ، ففاجأ البنات وهن يغتسلن فى بلاج جلجل وأخذ ثيابهن وقعد عليها ، وأبى أن يعطى كلا ثوبها حتى تخرج اليه عارية وتأخذه منه بنفسها ولو ظلت فى الغدير الى الليل • وغلبهن الحياء أولا فمكثنفىالماء حتى ارتفع النهار ، ولكنهن خفن أخيرا من الالتهاب الرئوىأو الانفلوانزا الحادة على أقل تقدير فرضخن وخرجن الواحدة بعد الاخرى • وكانت أشدهن حياء حبيبتــه عنيزة ، ولــكنها فى النهاية رضخت مع الراضخات • وأحسسن بالجوع فذبح لهن ناقته فأكلوا وشربوا فياسكة من أفخر النبيذ وطربوا وغنوا ثم حملته عنيزة معها داخل هودجها بعد أن فقد ناقته ، وبعــد الأقداح كانت القبلات • ولم يكن هناك على بلاج جلجلبوليس آداب ليمنع كل هذا • فانظر كيف تقدمت آداب المحدثين على اداب القدماء •

أبو الفتوح الصباح : النعمان بن المنذر وامرؤ القيس عاشا فى الجاهلية • هذا لايقاس عليه •

المعلم العاشر : نفسهذا المشهد تكرربعد سنوات حيننزلت

البنات بلاج الغيل فى الحجاز فأخفى الشـــاعر ثيابهن • واذا قلت ان النعمان بن المنذر وامرأ القيس كانا فى الجاهلية ، فما قولك في حكايات عمر بن أبى ربيعــة وغيره مع نســاء العصر الذهبى فى المائة الاولى ، أو على الاقل قبل أن تسوء ســـمعة المجتمع العربى بما قاله أبو نواس وما فعله هو وجيلـه السيء السمعة • والغيل بركة أو بحيرة أو نبع قرب مكة • أو لعله غابة تجرى فيها جداول المياه كما ورد فى «اللســان» • وليس من الضرورى أن يكون اسم البلاج مضحكا مثل جلجل أو غريبا مثل الانفوشى أو صعبا مثل جليمونو بولو أو أعجميا مثل الريفيرا لنسميه بلاجا • أنظر مثلا الى بلاج جمصة الذى كنا فيه • من رآه ظن أنه في فلوريدا أو كاليفورنيا ومع ذلك فاسمه جمصة ومحافظة الدقهلية لاتخجل من ذلك ومن أقام فيه نسى ان مصر تجرى فيها تجربة اشتراكية •

صانع الاقنعة : انت تستطرد ، عد الى الموضوع الاصلى •

المعلم العاشر : الموضوع الاصلى ؟ عمر بن أبى ربيعــة كانت هوايته الخاصة التسكع في مواقع الغيد على البلاجات ، وآداب المحدثين ليست أحط من آداب القدماء • انظر الى الدالية :

ولقــد قالت لجارات لها
وتعــرت ذات يوم تبترد:
اكما ينعتنى تبصرننى ا
عمركن الله أم لايقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها :
حسن فى كل عين من تود
حسدا حملنه من أجلهــا
وقديما كان فى الناس الحسد

فعمر بن أبى ربيعة لم يكن فقط يتلمظ بمرأى البنات على لبلاج من بعيد ، ولكنه كان على بعد مترين ، والافكيف استطاع أن يسمع كل هذا الحوار ؟ ثم ان التقبيل نفسه فى العصر الذهبى كان على أحدث طريقة سينمائية نستهجنها فى غــرام العصر الحديث ، وتقصها الرقابة من أفلام م • م و ب•ب وأعتقد انها قصتها مؤخرا من «الدولشى فيتا» ومن « هيروشيما ياحبى»،

وهي أن يمسك الفتى بالبنت من شعرها ويقبلها ، ففي شعر عمر بن أبي ربيعة أنها :

قالت : وعيش أبي وحرمة اخوتي
لأنبهن الحي ان لم تخرج
فخرجت خوف يمينها فتبسمت
فعلمت أن يمينها لم تحرج
فلثمت فاها آخذا بقرونها
شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

والقرون بلا مؤاخذة هي الشعور والحشرج اسم نبع . ولو أن عمر بن أبي ربيعة كان وحده في هذا المضمار لتلنا انهاحالة فرديه لايجوز لنا أن نستخلص منها صورة عن رجال العصر الذهبي ونسائه . ولكن أمثاله كانوا كثيرين . مثلا عبد اللهبن قيس الرقيات وهو أيضا من قريش كان يعشقهن ثلاثا ثلاثا ، وقد سمي بالرقيات لانه أحب ثلاث بنات كل منهن باسمرقية، وجميل بن عمر ، وقد كان من الشباب الارستقراطي في بني عذرة ، قال صراحة انه يفضل غزو القلوب على غزو الامصار :

يقولون جاهد ياجميل بغزوة
وأي جهاد بعدهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة
وكل قتيل بينهن شهيد

ونحن عادة لانفكر طويلا في الطريقة التي تسلق بها روميو من حديقة آل كابيوليت الى مخدع حبيبته جوليت ليقضي معها الليل . ولا أظن أنه تسلق على الواسير ، والارجح انه استعمل سلما مجدولا من الحبال الحريرية . تقولون : ولماذا الحريرية ؟ أقول لتنسجم مع الجو العاطر في حديقة الورد ومع الليل الساجي والنسيم الهفهاف وصدح العنادل في الليل والقبرة مع أول أنفاس الفجر . والفرزدق مر بتجربةمشابهة فيالبصرة فيما أعتقد كما يستفاد من وصفه :

هما دلتاني من ثمانين قامة
كما انقض بازأقتم الريش كاسر

ففلت ارفعا الامراس لايشعروا بنا
وأفلت فى اعجاز ليل أبادر

الأرجح ان « هما » تعود على سيدة الفؤادوجاريتها ولاتعود على سيدتين تربعتا على فؤاد الفرزدق أو استقبلتاه فى سرير واحد . أقول هذا على الأقل احتراما للفرزدق وصاحبته . وهو موقف يذكرنا بما كان يفعله اللورد بيرون مع الكونتيسة جيتشيولى ويبدو ان الفرزدق كان متمرنا على الصعود والهبوط بالامراس (أى الحبال) ، لان هبوطه السريع كانقضاض الباز الكاسر يثبت انه كان يعرف موضع قبضته من الحبل كالبهلوان ولكنى لاأشك فى أن خيال الفرزدق كان خصبا الى حد المغالاة، بل وآتهمه بالفشر على الأقل فى وصف التفاصيل . فهو يقول انه تدلى من ثمانين قامة ، وثمانون قامة معناها ١٤٠ مترا ،أى ان شقة المحبوبة التى قضى معها الليل كانت فى الدور الثلاثين، ولا أعتقد أن البصرة عرفت ناطحات السحاب فى المائة الاولى لان الاسمنت المسلح والأسانسيرات لم تكتشف الا فى القرن التاسع عشر . ثم انه لاشك يفشر حين يقول : فقلت ارفعا الحبال حتى لايشعروا بنا وانه أفلت فى اعجاز الليل يبادره قبل أن يدركهم نور الفجر فيفتضح أمرهم . فلو انه قال من هذا شيئا يمكن أن يسمع على ارتفاع ١٤٠ مترا لأيقظ العمارة كلها ، بل والحى كله على الفور وطارده العسس وأهل الحبيبة قبل أن يتاح للمرآتين المسكينتين أن ترفعا الأمراس .

وغير عمر بن أبى ربيعة وجميل بن معمر وعبدالله بن قيس الرقيات والفرزدق هناك الشاب الجميل وضاح اليمن ، وهو من أبناء ملوك اليمن ، والعرجى ، وهو من ارستقراطية قريش ، وعدد لايحصى من شعراء العصر الذهبى يثبتون بشعرهم أن نساء العرب فى العصر الذهبى لم يكن يختلفن كثيرا عن نساء اليوم على الاقل فى الفضيلة أو فى نقص الفضيلة .

مجاهد بن الشماخ : سيدى الرئيس ، هذا تخريب لتراثنا .

أبو الفتوح الصباح : كل هذه حالات فردية لايقاس عليها والشعراء يتبعهم الغاوون .

علي الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : ولكنكم تدرسون هؤلاء الشعراء في المدارس والجامعات ، هل تقترح سن قانون بالغاء تدريس الأدب العربى من المدارس والجامعات ؟

مجاهد بن الشماخ : مستحيل ، نحن أفنينا حياتنا فى تحقيق هذا التراث ونشره . نحن نطالب وزارة الثقافة بأن تخصص كل ميزانيتها لنشر التراث العربي .

الايديولوجي الفهلوى : وما اعتراضك اذن ؟ هل تطالب بنشره بشرط ألا يقرأه الناس ؟

أبو الفتوح الصباح : هؤلاء الشعراء لايعطون صورة صادقة عن حياة العرب فى العصر الذهبى . النساء الفاجرات يعشن فى كل عصر من العصور .

المعلم العاشر : لاتغضب . ان شعراء العصر الذهبى لم يكونوا يترددون على النساء الفاسدات أو على البغايا بل كانوا يترددون على سيدات الأسر وبنات العائلات . والا فما معنى كل هذا الاختلاس والتسلق والدخول من الشبابيك تحت جنح الظلام؟ وقد عرف عمر بن أبى ربيعة وحده منهن عددا وفيرا وعينهن بالاسم ، مثل عائشة بنت طلحة ونعم والرباب وهند وعفراء والثريا والنوار وأسماء وليلى ولبابة ورملة وكلثم وفاطمة بنت محمد الاشعث الكندية وغيرهن وغيرهن ، وعناوينهن كلها مذكورة ومحققة بالكامل فى «الاغانى» ج ١ طبعة دار الكتب وفى ديوان عمر بن أبى ربيعة تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ومنها يتبين أنهن جميعا من أسر محترمة مع الاحترام التام لهذه الاسر ، فالمثل يقول « يخلق من ظهر العالم فاسد» . كذلك كان رجال العصر الذهبي يدلعون ، أقصد يدللون ، نساء العصر الذهبى كما نفعل نحن اليوم بنسائنا فنقول سوسو وشوشو ، كانوا يقولون «سكن» لسكينة و«بثن» لبثينة و «عز» لعزة : مثلا : « وحبك ياسكن الذى يحسم الصبرا » فى عمر بن أبى ربيعة و «كما شغف المجنون يابثن بالخمر» فى جميل بن معمر « ومن ذا الذى ياعز لايتغير» فى كثير عزه ، وكانوا يضربون المواعيد كما نضربها اليوم فى الاورمان أو فى جنينة الحيوانات

او فى كازينو الشجرة أو فى استيريو الهرم • مثلا رسول عمر بن أبى ربيعة :

فأتاها فقال : ميعادك السر
ح اذا الليل أسدل الاستارا

ونساؤنا الآن يستعملن الشانيل والكارفن ماجريف والاربيج والاوبيجان والشيفالييه دوشيه بمنتهى الحرص والاقتصاد ويكتفين بنقطة أو نقطتين فى الشعر أو تحت الأذن وأحيانا فى الملابس الداخلية • ولكن قارىء معلقة امرىء القيس يعرف أن نساء الزمان الغابر كن يدلقن العطور دلقا على الفراش

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

وعلى الثياب :

اذا قامتا تضوع المسك منهما
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وكانت تحدث بينهم المطاردات الغرامية • انظروا الى هذه المطاردة التى قام بها عمر بن أبى ربيعة وصاحبه بكر على ظهور الابل وتذكروا مايفعله شباب هذه الايام على الاقدام بين أمريكين عماد الدين وأمريكين سليمان باشا ، أو فى سيارات نصر وهى تطارد سيارات تاونوس عند برج القاهرة أو فى سكة الهرم :

شكوت الى بكر وقد حال دونها
منيف متى ينصب له الطرف يحسر
فقلت : أشر •• قال : ائتمر ، انت مؤيس
ولم يكبروا فوقا ، فما شئت فأمر
فقلت : انطلق نتبعهم ، أن نظرة
اليهم شفاء للفؤاد المضمر
فلما اضاء الفجر عنا بدا لنا
ذرا النخل والقصر الذى دون عزور
فقلت اقترب من سربهم نلق غفلة
من الركب والبس لبسة المتنكر ••
فقالت لاتراب لها : ابرزن انني
اظن أبا الخطاب منا بمحضر

لــــه اختلجت عينى أظن عشـــية
وأقبـــل ظبى ســــانح كـــالمبشر
فقلن لهــــا : لا بـل تمنيت منيـــة
خلوت بهـــا عنـــد الهوى والتـذكر
فقالت لهـن : امشـــين ، أما نلاقه
كمـا قلت أو نشـف النفوس فنعذر ..
وجئت انسـياب الايم فى الغيل أتقى ال
عيـــون واخفى الوطء للمتغفـر
فلمــــا التقينا رحبت وتبســـمت
تبســـم مسرور ، ومن يرض يسرر
فيــا طيب لهــو ماهنـــاك لهوتـه
بمســـتمع منهـا ويـــا حسن منظر

فمن كان بطيئا في فهم الشعر فمعنى هذا الكلام باختصـار ان عمر بن أبى ربيعة وصـــاحبـه بكر أبصرا ركب المحبوبـة وصاحباتها فتبعاه حتى أدركاه ، ورغب أن ينفرد بها ورغبت أن تنفرد به ، فانسلخت من الركب وتحقق الرنديفو .

وفى الرائية المشـــهورة . « أمن آل نعم انت غاد فمبكر » (وهو يشبه قولنا : « أتذهب مبكرا الى بيب البنت نعمت أو نعمات أو نعيمة » يروى لنا عمر بن ابى ربيعة كيف انـه فعل مافعله دون جوان فى جنـاح الحـــريم بسراى الســـلطان فى استنبول . اى تنكر فى زى فتاة لكى يندس بينهن ، كما ورد فى ملحمة اللورد بيرون ، ودخل فى مأزق ثم خرج منه . ولا اعتقد أن شاعرا فى أية لغة بلغ هذه الدقة فى وصف حديث العشاق المعاميد الذى اختلطت فيه الدمانة بالشبق ، وهما عادة من صفات نساء الارستقراطية :

فحييت اذ فاجأتهـا فتولهت
وكـــادت بمخفوض التحيـــة تجهـر
وقالت وعضـــت بالبنان : فضـحتنى
وانت امـرؤ ميســـور أمرك أعسر
أريتـك اذ هنـــا عليـــك الم تخف

وقيت وحـــولي من عـــدوك حضر ؟
فـو الله مـا أدرى : أتعجيـل حـاجـة
سرت بك أم قد نـــام من كنت تحذر ؟
فقلت لهـا : بل قادنى الشـوق والهوى
اليـك وما نفس من النـاس تشـعر
فقـالت وقـــد لانت وأفـرخ روعهـــا
كـــلاك بحفظ ربـــك المتكبـر
فـأنت أبـــا الخطـــاب غير مـدافع
عـــلى أمـير ما مكنت مـــؤمـر
فبت فـــريـــر العين اعطيت حـــاجتى
أقبـــل فاهـا فى الخـــلاء فأكثر
فيـــالك من ليـــل تقاصر طـوله
وما كان ليـــلى قبـل ذلك يقصر

وهكذا قضى عمر بن أبى ربيعة ليلة ناعمـة ، ولـكن ما أن أوشك الليل أن ينقضى حتى وقعت الواقعة فدبت الحركة فى الحى وتأهب القوم للرحيل : « فلا راعنى الا مناد : ترحلـــوا ، وقد لاح معروف من الصبح أشقر » ، ولم تصب البنت بالذعر بل قالت لصاحبها : الان وقدتنبه الناس ، « أشر كيف تأمر ؟» لنخرج من هذه الورطة • فعرض عليها ان « يباديهم » أى ينقض عليهم بسيفه ، ولكنها رفضت قائلة : لا • هذا يثبت مايشاع عنا ، فلنفكر في حل يسترنا لا فى حل يفضحنا • وهكذا كانت المرأة كالعادة اذكى من الرجل • ولكنى يبدو أن الخطر اقترب منها فقد شحب وجهها ، ومضت الى اختيها ، او لعلهما مجرد صاحبتين تستنجد بهما :

فقامت اليها حـرتان عليهمـا
كساءان من خز دمقس واخضر
فقالت لأختيها : أعينا على فتى
أتى زائرا ، والأمر للأمر يقدر
فأقبلتا ، فارتاعتا ، ثم قالتـــا :
أقلى عليك اللوم فالخطب أيسر
فقالت لها الصغرى، سأعطيه مطرفى

ودرعي وهذا البرد ان كان يحذر
يقـــوم فيمشى بيننـــا متنـــكرا
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهــر
فـــكان مجـــنى دون من كنت أتقى
ثلاث شـــخوص : كاعبان ومعصر

ألا ترون معى أن التنكر فى زى النساء يدل على أن عشاق العصر الذهبى كانوا أكثر جراءة وأوسع حيلة من عشاق اليوم. أكاد أقطع بأن أى عاشق من عشاق اليوم لو ووجه بهذا الموقف لضربت معه لخمة ولما عرف كيف يتصرف .

الفارس المفروس : اسمحوا لى ياسادة ؛ كل هذا طبيعى . أنتم تنسون أن فن التصوير وفن النحت اندثرا بين العـــرب بانتهاء الجاهلية الوثنية . فطبيعى أن يقوم الشاعر مقام الفنان التشكيلى فيرسم «بورتريهات» لسيدات العصر الذهبى بالقلم والكلمة بدلا من الرسم بالفرشة والالوان . وهذا يفسر انتشار شعر الغزل فى العصر الذهبى . وفى «الاغانى» ج ٦ ص ٢١٩ أن أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان وزوج الوليد بن عبدالملك أرسلت الى كثير عزة والى وضاح اليمن تقول : « انسبا بى ». والنسيب أو التشبيب نوع من الغـــزل . فلنقـــل انه وصف محاسن المرأة ، وأن أم البنين لم تكن تطلب من الشعراء أن يتغزلوا فيها حقا ، وانما أرادت منهم أن يصفوا محاسنها ، أى أن يرسموا لها بورتريه أو ينحتوا لها تمثالا بالكلام على غرار ما يفعل الفنانون. وقد خاف كثير من صولة أبيها فلم يصفها بل وصف جاريتها ، أما وضاح اليمن فقد شبب بها فنال عقابه . تربص به رجال الوليد وقتلوه بدفنه حيا .

المعلم العاشر : ربما كان هذا صحيحا ، ولكنه لا يفسر المواعيد الغرامية فى السرح والغيل ولا المطاردات ولا التنكرات والتسلق بالحبال لولوج المخادع ولا المشاورات الطريفة بين البنات والبنات وبين الرجال والرجال فى أفضـــل الطرق لدخول دنيـــا الحب والخروج منها . ان دراستنا للأدب العربى تقف دائما عند زخرف الألفاظ ولا تتوغل فى المعانى الا نادرا ولا تحاول أن تربط بينه وبين الحياة التى أنتجته . وهـــذا هو سبب كراهية تلاميـــذنا

لدراسة الأدب العربي شعرا ونثرا رغم الجهود الجبارة التي نبذلها لنشره على أبنائنا في المدارس • أنا مثلا أعتقد أن الأدب العربي متخلف جدا عن الأدب اليوناني ، ولكني أعتقد أنه لا يقل شموخا عن الأدب اللاتيني بما في ذلك فرجيل وهوراس وأوفيد • ولكننا حنطناه لاعتقادنا أن التراث لا يكون تراثا اذا عاش معنا وعايشناه •• ان التلميذ المصري مثلا لا يعرف أن أبناء المائة الاولى كانوا مثلنا اناسا يحبون ويعشـقون ويتالمون ويفرحون ويقتتلون ويزنون

ويدسون ويتآمرون ويغدرون ويخلصـون وانهم كانوا مثلنا يحبون الجد ويتجهمون ويحبون الحظ ويفرفشون ، وانه لمع بينهم أقطاب المغنين مثل ابن سريج والغريض ومعبـد ، وكلهـم من فناني الحجاز تألقوا في المدينة المنورة تألق محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وفريد الاطرش في القاهرة الان • قالوا وكان رابع هؤلاء العباقرة حنين الحيرى في العراق ، فكتب ثلاثتهم اليه خطابا يدعونه فيه لزيارة المدينة •• قالوا : نحن ثلاثة بالحجـاز وأنت وحدك بالعراق ، فانت أولى بزيارتنا • والمهم في هـذا

ماجاء في « الاغاني » من وصف الهستيريا التي استولت عـلى أهل المدينة عندما علموا باقتراب موكب الموسيقار حنين هذا ، وهي تشبه الهستريا التي تسـتولي على أهل لندن أو باريس أو نيويورك فيتجمعون بالآلاف في المطارات حاملين الكورفات وكارنيهات الاوتوجراف والكاميرات كلما نزل الخنافس أوجوني هاليـداي أو الفيس بريسلي ، فيتشـنج الرجال ويغمى عـلى النساء • قالوا : فشخص اليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقونه ، فلم ير يوم اكثر حشرا ولا جمعا من يومئذ • هذه صورة من صـور الحيـاة اليوميـه في العصر الذهبي تدل على أن رجاله ونساءه كانت لهم قلوب مثل قلوبنا •

فلم كل هذه الجهامة التي ترسم على وجه ابو الفتوح الصباح وصاحبه مجاهد بن الشماخ • ليس صحيحا ما قاله أبو الفتوح الصباح من ان نساء العصر الذهبي كن مثال الفضيلة وان نساء عصرنا مثال الرذيلة • هل اقتنعت يا سيدي ؟

مجاهد بن الشماخ : كلا • كلامك غير مقنع ، بل هو أشبه

بسمادير المخمورين · وأنا لاأفهم كيف يؤذن لدعى جاهـــل مغموز ملموز شرلتان مثلك أن يتكلم فى تاريخ العرب وأدبهم وانت الذى دربك المبشرون والمستشرقون عملاء الاســتعمار الصليبى لافساد حضارة العرب وعقيدة العرب ·

صانع الأقنعة : محال أن أسمح بهذا السباب · انه خروج على الميثاق ، أن كانت لديك وجهه نظر فاشرحها ولكن حذارمن التطاول والا اخرجتك من الجلسة · ارى من حالتك النفسية انك اذا بدأت الكلام فلن تتوقف ، والوقت ازف · فالى اللقاء فى الجلسة القادمة ·

رفعت الجلسة · ·



× المحاورة الثالثة ×

فن المراثى..

قال صانع الأقنعة : انت يامجاهد بن الشماخ طلبت الكلمة وستكون أول المتكلمين فى جلسة اليوم . ولكن تذكر ماوعدتك به فى الجلسة السابقة اذا لجأت الى السباب .

مجاهد بن الشماخ : أنا لم ألجأ الى السباب وانما كنت أمارس حقى فى الهجاء والهجاء فن معترف به من فنـــون الشـــعر العربى ، وله تقاليد راسخة فى بلاغة العرب ، بل أكاد أقول انه يمثـــل ربع تراثنا من الشـــعر العربى . فاذا كان ربعه للنسيب وربعه للفخر وربعه للمدح فربعه الرابع للهجاء ، اما شعر الرثاء فمجرد متفرقات هنا وهناك لايعتد بها ، وأما وصف الطبيعة والحكم والتأملات وغيرها فقد جرت تقاليد العرب ان تكون « من الباطن » ، أى يحشى بها بطن القصيد حشو الفريك داخل الحمام وهى لاتطلب لذاتها ، فهى ليست فنونا أدبية معتمدة عند العرب . ولم يشـــذ عن هذه القاعدة الا العتاهى والمعرى وشعراء الصوفية . فالعرب أذن قد جعلت من الســـباب فنا

جميلا وسمته الهجاء .. كما جعلت من الملق فنا جميلا سمته المدح .
فاذا كنت قد قلت للمعلم العاشر انه دعي وجاهل وشرلتان وان كلامه صديد في صديد أو من سمادير المخمورين أو انه صبي المبشرين وعميل المستعمرين ، فهذه كلها صور فنية غاية في الذكاء ، ومعان مبتكرة لم يسبقني اليها أحد من القدماء ، وأنتم تعرفون أن ابن قدامه وابن سلام والجرجاني وابن قتيبة والآمدى وأبا هلال العسكري وابن طباطبا كانوا لايغتفرون لشاعر أو ناثر انه كرر معاني غيره أو ألفاظه ويسمون هذا سرقة أدبية . وقد حافظنا نحن سدنة التراث العربي على تقاليد الهجاء حتى لا ينقرض هذا الفن الجميل . فمصطفى صادق الرافعي مثلا كان يسمي عباس العقاد « العقاد اللص » و « الشاعر المراحيضي » وكان يضعه على السفود وهو خازوق أو سيخ لشي الكباب . وناظر مدرسة ابن العميد الجالس هناك كان يقول ان خولة المايسطرية تمسك بقلم الشيخ الغليظ ويقصد بالغليظ القلم لا الشيخ ، وهو زوجها ، وقد نشر هذا على نفقة الدولة في مجلات وزارة الثقافه ، لانه ظريف وجميل ولانه يحافظ على تراث البلاغة العربية وفي وزارة الثقافة ادارة لاحياء التراث العربي ، فهو يطبع على ميزانية احياء التراث . وقدأوشك هذا الفن أن ينقرض منذ أن ظهر المعلم التاسع قاتله الله أو على الأصح منذ أن عاد هو ومدرسته من أوروبة ، فأخذ يهجو خصومه في الرأي بعبارات مثل قوله : « فليسمح لي سيدي ان اختلف معه في بعض ما ذهب اليه ، وانا زعيم بأن اختلاف الرأي لايفسد للود قضية » أو مثل قوله : « ومهما يكن من شيء فاني اوشك ان اختلف مع سيدي في بعض ما ذهب اليه » وغير ذلك من التراكيب الاعجمية المستوردة من الخارج ، وهي تراكيب دسها علينا المبشرون الصليبيون والمستشرقون للقضاء على البلاغة العربية وابادة الهجاء العربي .. وهل هناك أجمل من قول الحطيئة :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

انظر الى التورية فى كلمتى « كعب » و « كلاب » فهما أخس مافى الانسان وأخس مافى الحيوان وهما فى الوقت نفسه اسما قبيلتين من قبائل العرب ، وهل هناك أقوى من قول المتنبى فى سلطان من سلاطين مصر

لاتشتر العبد الا والعصا معه
ان العبيد لانجاس مناكيد

انه قول صالح لكل زمان ومكان ، ولوأن لومومبا قاله لتشومبى لما آل الى هذه الكارثة الحزينة . اقول لولا مجلات وزارة الثقافة لاندثر هذا الفن الجميل ، والحمد لله الذى كشف الغمة وبعث مجد الآباء والاجداد ، وجدد العصر الذهبى للهجاء . فانا الان استطيع كلما خوى وفاضى ان اقتحم على أى كبير من كبار القوم مكتبه قائلا :

فجد لى ياابن ناقصة بمال
فانى قدعزمت على المسير

فيخاف بأسى ويوقع لى على ما شئت من صكوك ، هذه التى تسمونها شيكات : او اذونات صرف ، فان أبى ان يوقع اردفت هذا بقولى :

قوم أذا استنبح الاضياف كلبهم
قالوا لامهم بولى على النار

فيكون لقولى وقع السحر فى نفسه لإنه يدرك أنى قد بدأت الهجاء بالأم والأب . . نعم ان فن الهجاء فن أرفع من فن المدح لان المال او المجد ان جاء عن طريق الملق كان استجداء ، اما ان جاء عن طريق الارهاب فهو بأس وسؤدد . وانا لا اطالب الا بحقى فى أن أجرب بلاغة العرب فى هذا المعلم العاشر الصعلوك ، هو وقبيلته وقومه بعد أن اجرده من كافة القابه العلمية التى تخطل عليها بوسائل مريبة من جامعات المبشرين .

صانع الأقنعة : أنا نبهتك أكثر من مرة ان هذا مناف للميثاق . ادخل فى الموضوع أو دع غيرك يتكلم .

مجاهد بن الشماخ : لا بأس . لقد صور هذا الرجل

صانع الأقنعة : اسمه المعلم العاشر •
مجاهد بن الشماخ : أنا لااعترف بهذا اللقب •
صانع الاقنعة : هل تعترض على لقبك أيضا ؟
مجاهد بن الشماخ : كلا ، فهو يناسبنى تماما • وهو ليس فناعا بل حقيقة ، فجدى الاعلى هو الشـــماخ بن ضرار قطب شعراء الجاهلية ، وانا مجاهد بالفعل •
صانع الأقنعة : هو الذىصنع لكالقناع فلماذا أنت غاضب عليه ؟

مجاهد بن الشماخ : هذه قصة أخرى سأرويها فيما بعد • اما الآن فانا اقول ان المعلم العاشر زعم كما زعم المعلم التاسع من قبله ان شعر الغرام القانى فشا فى الحجاز فى أوائل حكم بنى أمية • والحقيقة ان شعر الغرام القانى والغرام الباهت وكل انواع الغرام فشا فى كل عصر من عصور الدولة العربية لان العـرب بسليقتهم عشاق معاميد • وأنا لاأوافق أبا الفتـوح الصباح فى تصوره أن العصر الذهبى كان خاليا من الغرام ، فأبو الفتوح الصباح أحول أو أعور يرى أدب الدين ولا يرى أدب الدنيا •
ابو الفتوح الصباح : أتشتمنى ؟ أنا صديقك •
مجاهد بن الشماخ : أنا لاأشتمك ولكنى أصحح آراءك عن العصر الذهبى ، الدولة العربية كلها عصرذهبى ، وكلما فيها ذهب • حتى الجاهلية الأولى ذهبية وهذا هو الفرق بيننا نحن المثقفين العرب وبينكم معشر الروحانيين العرب • نحن نقول أن دولة العرب دين ودنيا ، وأنتم تقولون انهـا دين فقط ، ولهذا سنصل نحن الى الحكم أما أنتم فستمهدون لنا الطـريق أنتم تكتوون بالنار ونحن نأكل الكستناء كما يقولالخواجات•
وهذا هو سبب فشل جدك الأعلى حسنالصباح مقدم الفداوية وشيخ طريقة الحشاشين رغم أنه برز في الحروب الصليبيـــة وهو أيضا سبب فشل ابن عمك آية الله كاشـانى فى ايران فى السنوات الأخيرة • لا تترك الدعوة الباطنية ولكن ادخـل الاتحاد الاشتراكى ، وبهـــذا تكون لك كوادر سرية وكوادر علنية فى حى الباطنية •

صانع الاقنعة : ماهذا الكلام ! أنتما تتآمران لقلب نظام الحكم ؟

ابو الفتوح الصباح : لا . أبدا . أنا لاتربطنى بهذا الرجل الا رابطة فكرية . .

صانع الاقنعة : نحن كنا نتكلم في الادب والحياة . فما دخل السياسه ؟

مجاهد ابن الشماخ : السياسة تدخل فى كل شيء . فمثلا تعددت الآراء فى أسباب تفشى شعر الغرام فى الحجاز فى أوائل حكم بنى أمية ، فصاحب « حديث الاربعاء » يقول ان شعر عمر بن أبى ربيعة وفرقة الشعراء العشاق كان يمثل صورة حقيقية لمجتمع أرستقراطى مترف متأنق انتشرت فيه الصالونات الادبية . وهناك رأى بأن بنى أمية أرادوا أن يستأثروا بالحكم فى الشام فشجعوا هذا الترف فى الحجاز لعزله سياسيا وشغل شبابه عن الحياة العامة بسفاسف الفن والأدب وبمتع الحياة ، وهذا ليس بمستبعد وعندنا أمثلة فى التاريخ .. فالصليبيون الامريكان علموا الايروكوا والشيروكى والسيو والسجنولو واليوت وغيرهم من قبائل الهنود الحمر شرب الجن لينصرفوا عن القتال ويتركوهم يمرحون فى البلاد . وكذلك فعل الصليبيون الاوروبيون بزنوج افريقيا : فتحوا بلادهم بالخمر والخرز . ولكن الأرجح فى نظرى هو أن شعر الغزل هذا لم يكن الا لونا من ألوان القذف السياسى قصد به الشعراء تلويث سمعة خصومهم بالتعريض بنسائهم المحصنات وتصويرهن فى صورة الزانيات الفاجرات ، ألم أقل لكم أن القذف فن جميل وله تقاليد راسخة فى الأدب العربى ؟

ابو الفتوح الصباح : أنا أعتقد أن كل ماروى عمر بن أبى ربيعة والعرجى وجميل بثينة والرقيات ووضاح اليمن والاحوص والاخطل وغيرهم فى شعرهم من مغامرات نسائية مع كرائم العقائل ليس الا أقاصيص من نسج الخيال . والكذب فى سبيل الفن رخصة أعطيت للشعراء من أقدم العصور ، والى الآن فيما أعتقد . فشعر هذه الفترة لايصلح أن يتخذ

مرآة لذلك العصر . وصورة الشاعر يفتحم أو يتسلل الى مخادع البنات صورة شعرية قديمة ورثها شعراء صدر الاسلام عن شعراء الجاهلية . نجدها مثلا فى أمرىء القيس ونجدها في المنخل اليشكرى :

ولقد دخلت على الفتاة الخدر فى اليوم المطير
الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفى الحرير

المعلم العاشر : ربما . ربما . ولكن هذا لايفسر كيف أن دواوين عمر بن أبى ربيعة وعديد من معاصريه ليست الا سلاسل محكمة الحلقات من قصائد لاتخرج عن هذا المعنى : معنى التواعد واللقاء أو التسلل الى المخادع . والأرجح أن شعراء العصر الذهبى كانوا يفشرون فى وصف هذه الدون جوانيات أو على الأقل يغالون بعض الشيء ، وهذا ضعف انسانى تجده في كل العصور . ولكن مجرد تفشى هذا الاتجاه الأدبى أكثر مما ألفه الناس فى الجاهلية ومجرد سماح مجتمع العصر الذهبى بتفشيه يدلان على نوع من السماحة والقبول ولو لهذه « الموضة » الادبية . ثم اننا لم نسمع أن أحدا أقام الحد على عمر بن أبى ربيعة رغم اعترافه بالزنا أكثر من مائة مرة في قصائده ، والاعتراف سيد الأدلة ، بل هو يذكر أسماء وعناوين من زنى معهن من النساء دون حرج ، وأكثرهن من سيدات المجتمع المعروفات ، ومع ذلك لايتعرض له أحد . وواضح من سير شعراء العصر الذهبى أن ما لقيه وضاح اليمن أو الاحوص أو الرقيات أو الأخطل من العنت أو التهديد لم يكن بسبب دخولهم مخادع السيدات ، ولا بسبب اجترائهم على نساء وراءهن سيوف طويلة هن نساء كبار رجال الدولة ، على طريقة : « اذا سرقت اسرق جمل واذا عشقت اعشق قمر » . فبعض من وصفهن هؤلاء الشعراء كن ملكات جمال مثل عائشة بنت طلحة تحدثت بجمالهن كتب العرب ، ولكى أقرب لكم الصورة : تصوروا مثلا أن عبد الرحمن الخميسى أو عبد القادر القط أو صلاح عبد الصبور أو احمد حجازى كتب قصيدة في هذه الايام تباهى فيها بليلة حمراء

قضاها مع زوبة المناويشي زوجة الدكتور محمود الدنديشي رئيس مجلس ادارة المؤسسة المصرية العامة للكرافتات والبابيونات والخرق الحريرية ، وفي فيللا الدكتور نفسه خلف اندريا بشارع الهرم • فماذا يكون الحال؟ طبعا قضيتان: قضية قذف للتشهير تطبق فيها المادة كذا من قانون العقوبات (والحبس فيها واجب) ، وقضية زنا مع محصنة ، أى امرأة متزوجة (والحبس فيها واجب أيضا) ، وغالبا قضية ثالثة هي قضية طلاق بين محمود الدنديشي وزوبة المناويشي أو على الأقل علاقة سخنة تبقى في ذاكرة زوبة المناويشي لفترة طويلة • فسيف القانون اليوم أحد من « سيوف أبيك » التى ذكرها الشاعر في قوله : « فتكات لحظك أم سيوف أبيك » • وواضح أننا اليوم نقيم الحد بطريقتنا الخاصة على الزناة والقاذفين أكثر مما كانوا يفعلون في العصر الذهبي واننا لا نعلق العقوبة على الاعتراف أو التلبس كما كانوا يفعلون بل نكتفي بما تجمعه النيابة من أدلة • وحتى لو افترضنا أن الخميسي أو القط أو عبد الصبور أو حجازى مجرد فشار لا يفعل شيئا ولكنه يشنع ببنات الناس ، وأن الفشر ، فشر الشعراء ، شيء معروف للخاص والعام ، فهذا قد يعفى من تهمة الزنا ولكنه لن يعفى من تهمة القذف • فاذا تصورتم أن اقتحام مخادع السيدات في حراسة الخادمة والطباخ والشوفير وصبى المكوجى لم يعد موضوع قصيدة واحدة ينظمها الخميسي أو القط أو عبد الصبور أو حجازى بل أصبح الموضوع المفضل عند شعرائنا واشترك فيه عزيز أباظة وعلى الجندى وعبده بدوى وعامر بحيرى ومحمود عماد وبقية أعضاء لجنة المدرسة العمودية حتى أصبح سمة الأدب العربي في مصر عام ١٩٦٥ ، واذا تصورتم أن الأمر تجاوز زوبة المناويشي الى كوكا وسونة ونوسة وريرى وزيزى وميمى وفيفى الدراويشي والملاميشي والفرافيشي والقراقيشي والحلمنتيشي ، وكلهن زوجات من طبقة مديرى العموم من ذوى السيوف الطويلة ؛ ومع ذلك لا تخرج هذه السيوف من غمدها الا في القليل النادر ، فماذا أنتم قائلون ؟ وماذا سيقول المؤرخ

الذى سيؤرخ لعصرنا عام ٢٥٠٠ ميلادية عن طبيعة الحياة فى هذا العصر ؟

نحن نعرف أن الكوكايين كان منتشرا فى مصر فى أوائل العشرينات من نشيد حسن فائق ، المنسوب الى عبد الله شداد ، « شم الكوكايين خلانى مسكين » ، ومثله الحشيش من نشيد سيد درويش عن « التحفجية .. فشر يا دؤدؤ » . كذلك نعرف أن الزواج من أجنبيات كان يمثل خطرا قوميا فى العشرينات من روايات يوسف وهبى وفى الثلاثينات من قرار لجنه البعثات بحظر الزواج من أجنبيات على طلبتنا فى الخارج . ومؤرخ الادب سنه ٢٥٠٠ سيقلب أدب عصرنا فيجد فيه أوصافا غريبة وتحليلات عجيبة لا نظير لها فى الادب العربى فى

أى عصر من العصور لشخصيات مصرية تظهر لأول مرة على خشبة المسرح ، مثل طواف نعمان عاشور وفرفور يوسف أدريس وخضرة سعد الدين وهبه وعبده افندى للطفى الخولى ، ويستنتج منها أنه كانت فى مصر ثورة فقراء ومحاولة ضخمة لاعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية منذ ١٩٥٢ ، سيصل مؤرخ الادب الى هذه النتيجة حتى ولو لم يقع فى يده أى كتاب من كتب التاريخ لان أدبنا مرآة لعصرنا . وقد يكون مرآة منبعجة أو مقعرة كمرايا اللوناپارك بسبب عقلية أدبائنا وتكوينهم النفسى ، ولكنه مرآة من نوع ما على كل حال . وسيجد مؤرخ الأدب بعض التفكهة حين ينظر فيما سيبقى من أدبنا فيجده خاليا من وصف النساء خاليا من وصف الحب ، أو يكاد يكون خاليا . أنا طبعا أفترض « انت عمرى » لن تعيش الى سنة ٢٥٠٠ وأن نساء رشاد رشدى سيعشن فقط حتى يحال الى المعاش ، فرشاد رشدى هو الوحيد الباقى بين كتاب مسرحنا الذى لايزال يكتب عن النساء وأحوالها وعن الحب وأوضاعه . سيبتسم مؤرخ الادب ويسائل نفسه : ترى ماذا جرى لهؤلاء القوم منذ ١٩٥٢ أو على الاصح منذ اندثار مدرسة أبولو فى الحرب العالمية الثانية ؟ نعم . لن يجد مؤرخ الأدب عام ٢٥٠٠ فى شعرنا ومسرحنا أى دليل على أن مصر كانت فيها نساء فى عهد الثورة الا روايات احسان عبد القدوس . ومن

هنا أهمية احسان عبد القدوس التاريخية وضرورة المحافظة عليه لانه آيتنا الوحيدة أمام الاجيال القادمة على وجود الجنس الآخر في عهد الثورة • أما نجيب محفوظ فستكون رواياته مفاتيح لأشياء أخرى أشد خطرا وعمقا : ستكون مفاتيح لتشنجات اجتماعية وانسانية رهيبة على مستوى الجماعة كلها تفصح عن نفسها من خلال تشنجات رهيبة تجتاح قلوب رجال ممرورين قلقين ونساء ممرورات قلقات •

كل هذا يؤكد أن شعر عمر ابن أبي ربيعة وجميل والرقيات ووضاح اليمن والعرجي والاخطل والفرزدق •• الخ يجب أن يكون مرآة للحياة العربية فى المائة الاولى أو مانسميه العصر الذهبي • وقد تواتر فى شعر كل هؤلاء الشعراء(١) ان نساء العصر الذهبى كن يتتبعن موضات الشعر السائدة فى ذلك العصر (٢) انهن كن يتتبعن أحدث الازياء ويعرفن أفخر أنواع الخز والحرير من الداماسيه (الدمقس) والشانتونج واللاميه والناما والموار والفاى الى الجيبير والدانتللا ، (٣) انهن كن يعرفن المانيكير والبديكير والمساحيق من أحمرى وأخضرى وأزرقى وكريم وبودرة وريميل وكحل لتزجيج الحواجب حتى تصبح العيون كعيون المها ، نعرف هذا من قول ابن الرومي فى وصف الطبيعة فى رونق الربيع : «تبرجت بعد حياء وخفر تبرج الانثى تصدت للذكر » • (٤) انهن كن يترددن على البلاجات غالبا بلا مايوهات سواء من قطعة أو قطعتين (٥) انهن كن يتواصلن مع العشاق ، على الاقل العشاق الشعراء ،ويتواعدن معهم فى الخمائل والادغال وعند عيون الماء ، ويستقبلنهم فى الفراش بين المغرب والفجر سواء فى مضارب الخيام أو فى الطوابق العليا كما حدث للفرزدق • وكل هذه الرذائل ، ان كانت رذائل ، لازمت بنات حواء من العصر الذهبي الى العصر الذرى ، والارجح أنها لازمتهن أيضا منذ عصر الكهف • الى العصر الذهبي • هل قضيت على خرافة العصر الذهبى •• على الاقل بالنسبة للنساء ؟

مجاهد بن الشماخ : اذا كان هذا حقا فهو حق يراد به باطل •

صانع الاقنعة : ماذا تعنى ؟

مجاهد الشماخ : أعني أن المعلم العاشر يشن حملة شعواء على حضارة العرب لانه سيىء النية • وهو يقصد أن يزرى بها لحساب الاوروبيين الملاعين الذين دربوه لهذا العمل حتى نفقد الثقة في أنفسنا ونوطىء لهم فى بلادنا •

المعلم العاشر : ماهذا ؟ هل نحن فى محكمة تفتيش ؟ هذا الرجل يحاكم الناس بالنوايا • لم يبق الا أن يأتى بخنجر ويشق به قلبى بحجة أنه يريد أن يفتش فيه • ومع ذلك فكلامى يدل على عكس مايقول • كلامى يثبت أن العرب علموا أوربا مودة البوستيشى والشنيون ومارى أنطوانت وعلموها استعمال أدوات الزينة وعلموها الاستحمام فى البلاجات ... باختصار ، علموها كل ما تصدره الينا الآن من أسباب الحضارة فهذه بضاعتنا ردت الينا ، وهو نفس ماينادى به مجاهد بن الشماخ وأبو الفتوح الصباح وبقال العروبة • علموها عن طريق بيزنطه والأندلس وما بينهما • علموها وتعلموا منها •

مجاهد بن الشماخ : أنظروا ! ألم أقل لكم أن للمعلم العاشر دسيسة ؟

كيف يقول أن العرب تعلموا من غيرهم ؟ العرب يعلمون ولا يتعلمون ، لانهم ولدوا علماء • هذه آراء المبشرين والمستشرقين والمستعمرين • وقد سبق أن صبى المبشرين ادعى أن المعرى قرأ اليونان وهو أفك عظيم ، فاليونان هم الذين قرأوا المعرى رغم أنهم أقدم منه • لقد أثبت بما فيه الكفاية فى الجزء الاول من كتابى « أوهام وأراجيف » أن المعرى لم يعرف هوميروس أو ارسطوفانيس أو لوسيان ، وسأثبت فى الجزء الثانى منه أن هوميروس وارسطوفانيس ولوسيان هم الذين عرفوا المعرى ..

المعلم العاشر : أنت مضحك يا شماخ ، أنت وأمثالك ، ان قلنا ان المعرى كان مثقفا يعرف اليونانيات غضبتم ، كأننا ننسب اليه عارا وشنارا • ومع ذلك فأنتم لا تفتأون تذكرون ان العربية هى التى أعطت اليونان لاوروبا فى عصر النهضة • فهل كان العرب مجرد وراقين مثل مكتبة الانجلو ومكتبة

النهضة وعيسى البابى الحلبى يبيعون المخطوطات اليونانية للاوروبيين دون أن يعرفوا ما بداخلها ؟ طبعا لا .. فقد كانوا أولا وقبل كل شيء مثقفين في اليونانيات عارفين باليونانية . وما دمنا نتحدث عن أمور الحب في العصر الذهبي ، فأنا أقرر هنا أمام جميع الحاضرين أن امرأ القيس كان يعرف اليونانية .. فنحن نقرأ في «الاغاني» ان امرأ القيس طلب الى السموأل أن يكتب الى الحارث الغساني أن يقدمه الى قيصر ، فلما انتهى امرؤ القيس الى قيصر اقام في بلاطه مكرما وعينه قائدا على جيش من جيوشه وكانت له عنده منزلة حتى أفسد ما بينهما عدو له يدعى الطماح . قال الطماح لقيصر : « ان امرأ القيس ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشعارا يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك . » وحتى لو افترضنا أن امرأ القيس كان يباهي بذلك من باب الفشر .. فهل يعقل أن يقيم عاما كاملا في بلاط امبراطور بيزنطة دون أن يتعلم اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان حمارا كبيرا . وحتى لو افترضنا أنه كان يستخدم ترجمانا أثناء اقامته في بلاط ملك الروم يترجم بينه وبين قيصر ، فهل يعقل أن قيصر كان يأتمنه على قيادة جيش من جيوشه اذا كان لا يتقن اليونانية ؟ لو كان الامر كذلك لكان قيصر حمارا أكبر لانه عين في جيشه جنرالا لا يستطيع قراءة أوامره وفرماناته ومراسيمه ، بل ولا يستطيع أن يتفاهم مع الصنف الثاني والثالث من العمداء والعقداء والنقباء او يجلس معهم في مجلس حزب دون مترجمين . وحتى لو افترضنا ان قيصر كان حمارا كبيرا وان امرأ القيس كان حمارا صغيرا فكيف كان امرؤ القيس يطارح ابنة قيصر الغرام وهما معا في بيزنطة في الفراش بطبعا لغة الاشارة تكفي ، ولكن هل يعقل أنهما لم يخرجا قط من الفراش او انهما لم يلتقيا أبدا الا في الفراش وبأية لغة كان يراسلها وتراسله ؟ بالعربية التي لا تعرفها أو باليونانية التي لا يعرفها ؟ بئس هذا الغرام الذي يحتاج دائما الى وسيط . ثم أننا نعرف انه مات ودفن في قلب بلاد الروم . وهذا يدل على انه تردد على بيزنطة أكثر من مرة ، مات بالحلة المسمومة التي خلعها عليه قيصر حين غضب عليه .. مات ميتة

اسطورية تشبه ميتة كريوزنا حين خلعت عليها ضرتها ميديا الثوب المسموم فى حكاية ياسون المشهورة • أن أى حمـــار فى ظروف امرىء القيس كان لابد ان يتعلم اليونانية قراءة وكتابة • بل الارجح انه تعلمها أصلا وهو صغير لانه من أبناء الملوك وتربية الامراء لم تخل من تعلم اللغات الاجنبية ومن استعمال السلاح الا فى أندر الاحوال • أنا أقول لكم أنكم تقتلون تاريخ العرب وأدب العرب لانكم لاتفهمون ما تقرأون بل ترددون كل ماجاء فى الورق لاصفر كالببغاوات ، وكأنه تعاويذ مختومة لايجوز لاحد فض اختامها خشية أن يضيع سحرها • أن أشد الناس خطرا على تراث القدماء هم سدنة تراث القدماء ، لانهم الهـــوا السلف فحنطوا حضارة السلف وفضـــلو الماضى على الحـــاضر وقطعوا جذورنا وجعلونا كاطفال يتامى يبكون حول تابوت بديع وهم لا يعلمون أن أباهم لايرقد فيه رقدة الموت ولكن ينام فى غفوة من سبات عميق •

صانع الاقنعة : انهض ، انهض يا أوزيريس • أنا ولـــدك حوريس • جئت أعيد اليك الحياة • لم يزل لك قلبك الحقيقى • قلبك الباقى • كفى • كفى لقد أثرت فينا الاشجان وأنسيتنا الابتسام • أرجو يا سادة أن تتذكروا فى المرة القادمة أن من يضحك كثيرا يحتفظ بشبابه طويلا • فاضحكوا واضحكوا وان لم تجدوا ما تضحكون منه فاضحكوا من أنفسكم ! والى أن نلتقى مرة أخرى ، رفعت الجلسة •



× المحاورة الرابعة ×

فرذوس القطط والكلاب

بعد ان افتتح الرئيس ، صانع الاقنعة الجلسة لادارة المحاورة الرابعة ، تنحنح قليلا وقال انه قد جاءه طلب باقفال المناقشة في هذا الموضوع التافه المستهلك ، موضـــوع المرأة ، واقتراح باجراء التصويت فورا من بازرعة بن شخبوط وهـو من أقصى اليمين ، والمملوك الشارد وهو من أقصى اليســار (واليمـين واليسار هنا أوصاف جغرافية لا سياسية) . وهنا حدث هرج شديد لان خولة المايسطرية والماركسية المسخسخة ساءهما أن يقال ان موضوع المرأة موضوع تافه . وصاح الشاب الظريف أبو سنة دهب لولى يطالب بفتح باب المرأة الى الابد وأيده في ذلك خليع القبيلة بجلبة شديدة لفتت نظر الحاضرين ، وكانت حجتهما في ذلك انهما اختصاصيان في المرأة عمليا وانهما يحبان أن يستكملا معارفهما النظرية عنها ، وكان تاجر البهارات يراقب كل هذا ويبتسم في خبث وأعطى الشاب الظريف شيئا من لبان الدكر وأعطى خليع القبيلة جوزة من جـــوز الطيب فزاد

تهيجهما وأخذا يهتفان « تحيا المرأة الذهبية ! »« الينا بالمرأة الذهبية !» وهنا تدخل السندباد الجديد ملطفاً هذا الهرج بقوله :

ـ المعلم العاشروالمجاهد والشماخ وأبوالفتوح الصباحاتتفيا بدراسة أحوال المرأة من خلال صورتها فى الأدب والحقيقة ان الادب لايعطينا الا بروفيل المرأة • وأنا أقترح أن يرسم لناأحد صورتها فى علم الاجتماع • أنا لاأقول ان العلم فضلوه عن الادب ، ولكن المنهج العلمى أدعى لدقة المعرفة ووضوح التفكير»

الايدلوجي الفهلوى : أنا مستعد لرسم صورة المرأة فيعلم الاجتماع • أنا درسنت •••

المعلم العاشر : أنا أعترض • ليس بيننا واحد مؤهل فى هذا العلم •

صانع الاقنعة : هل ندعو أستاذا من الجامعة ؟

المعلم العاشر : لا • أنا أعرف كل أساتذةالاجتماع الدكتور آزؤز لايعرف شيئا خارج دور كهايم ، والديك الجبار لايعرف شيئا خارج ابن خلدون والدرفيل الوديع سيشرثر ثرثرةلطيفة عناستاذه ايفانز بريتشارد اقترح أنندعوبعض الخبراءالأجانب: جيمس فريزر ومالينو فسكى وايفانز بريتشارد ورادكليف براون وهانز ليخت أيضا اذا أمكن ولوينسون

صانع الاقنعة : ما كل هذا • واحد يكفى

المعلم العاشر : مالينوفسكى اذن • هاهو ذا بالباب • أو على الأصح شبحه ما أن فكرنا فيه حتى حضر بسرعة ضوء الفكر •

صانع الاقنعة : ادخل يامالينوفسكى •

مجاهد بن الشماخ : أنا أعترض على دعوة هذا الأفاق الدولى عدو العرب • انه أوروبى نجس •

صانع الاقنعة : اسكت ياشماخ • مهنتك •

مالينوفسكى : عالم أثنولوجيا •

أبو الفتوح الصباح : وما هذه الاثنولوجيا من فضلك ؟

مالينوفسكى : علم دراسة خصائص الشعوب •

ابو الفتوح الصباح : سبحان الله • أنا لم أسمع أبدا بهذا العلم •

مالينوفسكي : كانوا فى القرن التاسع عشر منـــذ داروين يدرسون شيئاً اسمه الانثروبولوجيا أى علم الانسان أو الجغرافيا الجنسية كما تسمونها فى بلادكم ، وكانوا يدرسون الاجناس البشرية دراسة غريبة بقياس جماجم الناس وأنوفهم وأطوال عظامهم وأنواع شعرهم وتصنيف فصائل دمهم ، كل ذلك لتحديد الفوارق والجوامع بين الاجنــاس المختلفــة لمعرفة ما اذا كانت الاجناس من أصل واحد . ثم خطرت للبعض فكرة طريفة وهى أن يدرسوا عادات الشعوب وخصائصهم الاجتماعيه بدلا من التركيز على خصائصها السلالية . وسموا هذا انثوبولوجيــا اجتماعيــة ، والحق انى لا أعــرف بالضــبط الفرق بين هــذه الانثروبولوجيا الاجتماعية وما نسميه اليوم الاثنولوجيا . كلها أسماء مضحكة .. المهم ان علماء الانثروبولوجيا الطبيعية بالغوا فى أحكامهم على سلالات الشعوب لمجــرد استعمالهم المســاطر والبراجل وأخــذوا يصــــدرون الاحـــكام عــلى البشر . وكان طريفـــا أن نرى دعـــاة النـــازية فى البـــلاد الاخرى يؤمنون بهـــذه النظـرية رغــم أنها تثبت تخلفهـــم الفطرى . مثلا فى مصر ، فى الاربعينات صفق بعـض الناس للنازية رغم انها تضع المصريين فى المرتبة العاشرة والعرب فى المرتبة العشرين من درجات التخلف الفطرى الذى لا يجدى معه تعليم . ولما رأينا استفحال خطر هذه المدرسة رأينا من واجبنا، نحن دعاة الانثروبولوجيــا الاجتماعية ، أو الاثنولوجيــا ، أن نهاجمها بقسوة ، لا سيما واننا من أنصار الديمقراطيـــة ومن دعاة المساواة بين البشر ، فأثبتنا أن كل الـــسلالة خرافة فى خرافة لانه ليست هناك سلالات صافية وكل شــعوب الارض بزرميط بسبب الحروب والهجرات المتواصلة ، وأعلنا أن علم الانسان لا يكون علما الا اذا كف عن قياس اللحم والدم والعظم ووقف عند دراسة عادات البشر ونظمهم الاجتماعية : مثلا نظام الأسرة . نظام التوريث . نظام الحكم . نظام السحر . طقوس العبادات . نظام البغاء . طقوس الافراح والموالد . وكل مايدخل فى باب «الثقافة» و «الحضارة» و «المعتقدات» والعادات الاجتماعية . برونسلاف مالينوفسكى .. فى خدمتكم . أنا مثـــلا مسحت ميلانيزيا وبولنيزيا ، وايفانز بريتشارد مسح السودان وفستر مارك مسح شمال افريقيا وأستاذنا تيلور مسح الهنود الحمر

وصديقتي السيدة سيليجمان مسحت شعوب افريقيا .

مجاهد بن الشماخ : ألم أقل لكم ؟ ان عندنا ما هو أفضل من هذا المبشر الأفق رحم الله ابن بطوطه والقزويني وابن خلدون .

مالينوفسكي : ابن بطوطة والقزويني وابن خلدون؟ رجال عظام . سمعنا عنهم وقرأناهم من الجلدة للجلدة في سنة أولى جامعة .

صانع الاقنعة : أدخل في الموضوع يامالينوفسكي . السؤال هو : ماقول العلم في نساء العصر الذهبي ؟ هل كان نظام الاسرة مثلا في العصر الذهبي أرقى منه في عصرنا ؟ وأحوال المرأة وأوضاعها هل كانت في المجتمع الذهبي أرقى منها في عصرنا؟ نحن رأينا صورة المرأة في مرآة الادب فوجدنا أن الحال من بعضه، وبقي أن نرى صورتها في مرآة العلم . لن نتضايق اذا ألقيت علينا محاضرة بشرط أن تكون طريفة فنحن في الاصل أدباء كما تعلم »

مالينوفسكي : « أنا بوصفي واحدا من صفوة الصفوة في الانثولوجيا أقرراني كلما التقيت بمسز سيليجمان أو الدكتور لووي وكلما ناقشت راد كليف براون أوكروبر ، أحس لفوري أن زميلي لايفهم شيئا في الموضوع ثم أحس عادة في النهاية ان هذا ينطبق علي أيضا . وهذا ينصب على كل ماكتبناه في موضوع القرابة ، وهذا الأحساس متبادل تماما . »

صانع الأقنعة : أهذا من تواضع العلماء أم هي نكتة ؟

مالينوفسكي : مطلقا . هذه حقيقة . وعلى كل حال مادمتم تطلبون رأيي فسأكتفي بعـــرض الحقائق واستخلصوا أنتم ماتشاءون . »

أين أبدا ؟ في العصر الذهبي . طبعا انتم لاتقصدون حواء في الجنة قبل سقوط الانسان ، فهذه المرحلة معروفة للجميع سابدأ اذن من نقطة غير معروفة وهي بداية تاريخ حواء على الارض أو بناتها بتعبير أدق . فأول أثر وجده علماء الآثار للمرأة على الارض كانت بعض التماثيل الصغيرة بحجم الكف التي يرجع تاريخها الى نحو ٢٠٫٠٠٠ سنة ، أي في العصر الحجري القديم،

تماثيل لنساء ولحيوانات • طبعا المرأة كانت موجودة على الارض قبل هذا التاريخ بسنوات لاتحصى ، ولكنى أتكلم عن أى أثر مادى يدل على وجود نساء على الارض غير تسلسل الذرية • اكتشفت هذه التماثيل فى أواخر القرن التاسع عشر فى كهوف براسمبوى بجوار مدينة بايون فى جنوب فرنسا فى منطقة جبال البرانس • ثم اكتشفت مجموعة أخرى من التماثيل المشابهة فى كهوف جريمالدى بجوار مدينة منتون بين الريفيرا الفرنسية والريفييرا الايطالية • وكانت هذه التماثيل تتميز كلها بطابع واحد وهو ضخامة الثديين وبروز البطن بدرجة ملفتة وبجسامة العجز لدرجة لاتطاق: ومن تواتر هذه الظاهرة ظن علماء الانثروبولوجيا أولا أن نساء العصر الحجرى كن جميعا مريضات بمرض تضخم العجز • ولكن هناك احتمالا بأن يكون هذا مجرد أسلوب الانسان الاول الفنان في التصوير أى مجرد التركيز على أعضاء المرأة التى تتصل بوظيفة الاخصاب والمبالغة فى ابرازها كما يفعل فنان اليوم فى الكاريكاتير • فالفنان القديم لم يهتم بأن يبين فى تماثيله ملامح الوجه والقدمين، ولم يعرف ان كانت هذه لربة الحب أو الاخصاب أم انها كانت تمثل نساء حقيقيات • على كل حال فان العلماء أطلقوا على هذه التماثيل اسم «فينوس جريمالدى» تشبها بقولهم « فينوس ميلو » •

صبحى النقاش : هذا يثبت أن فن النحت فن قديم جدا •

مالينوفسكى : لاشك• لاشك ، ٢٠,٠٠٠ سنة على الاقل ، أى ماقبل التاريخ • وفى ١٩٠٨ اكتشف عامل كان يشتغل بمد السكة الحديد فى قرية ويلندروف فى النمسا على شط الدانوب رسما أحمر طوله ١١ سنتيمترا على حجر ، وهو من نفس الفترة أى يرجع الى ٢٠,٠٠٠ سنة ، وقد حفر فى الحجر بآله حادة أو ازميل ، ويقال انه أقدم نموذج معروف من فن التصوير وهو من حيث التكوين مشابه تماما لنساء فرنسا ، وايطاليا منذ ٢٠,٠٠٠ سنة على الاقل فى خيال الفنان : نفس الاثداء الجسيمة والبطن الجسيمة والعجز الجسيم • صورة مقززة طبعا بالنسبة لأذواقنا • ولكن الغريب ان هذه الكتلة من الشحم

كانت تلبس سوارا على كل ذراع من ذراعيها وشيئا يشبه الحلية على الرأس يظن انه كبودي. تصوروا! حتى في العصر الحجرى القديم تفكر المرأة في زينتها قبل أن تستر جسدها ! وغير معروف أيضا ان كانت « فينوس ويلندروف » أو حواء النمسا تمثل صورة كاريكاتورية أم امرأة حقيقية . كذلك عثر علماء الآثار في استوريتز على صورة محفورة في الحجر من نفس الفترة تمثل منظرا غراميا : رجل عار ينظر في ضراعة الى امرأة عارية وقد رفع يديه وكأنه يتوسل ، وعلى فخذ المرأة رسم الفنان سهما رمزا لرغبة الرجل ، والوضع كله محترم ويوحى بأن الفنان الاول لم يكن متبذلا كبعض فنانى اليوم ، ويثبت أن انسان العصر الحجرى القديم كان لايخلو من الرومانتيكية . وقد تصور فريزر وريناخ كعادتهما في كل هذه التماثيل والنقوش انها لربات الحب والاخصاب ، أو بقايا لديانة تقوم على عبادة المرأة اختلط فيها السحر بالدين . أما الحقيقة فلا يعلمها الا الله . ولا يقل اهمية عن ذلك تلك الصورة التي وجدها علماء الآثار بكهف في فالنسيا بأسبانيا عمرها ١٦٠٠٠ سـنة ، أى من العصر الحجرى الوسيط ، والصورة تصور امرأة تعمل ، فهى واقفة على سلم صنع من حبال مجدولة ، تجمع الشهد من خلايا النحل لتضعه في سلتها ولكن جسم هذه المرأة نحيل جـدا وهو من الطراز الافريقى .

على الزيبق الجوكى الشهير بالزينبرك : هذه معلومات ممتازة اذن فلدينا دليل يقيني على أن المرأة كانت تعمل كالرجل تماما . على الأقل منذ ١٦٠٠٠ سنة . وهذا وحده كاف لاخراس كل المعترضين على خروج المرأة لميدان العمل . أنا دافعت عن حق العمل للمرأة في أحد مؤلفاتي على الاساس البيولوجى لا على الاساس الانثروبولوجى . حولت رجلا الى امرأة وامرأة الى رجل لأثبت حق المرأة في العمل فظن الأغبياء انى أدعو لحق الرجل في العمل وأنا أقطع بأنها كانت دسيسة رجعية .

ابو الفتوح الصباح : مهلا، مهلا، لو فكرت جيدا في الصورة لوجدت أن المرأة لم تكن تعمل طبيبة أو محامية أو مهندسة أو موظفة ولكن كانت تعمل في جمع الشهد ، أى تعمل في التدبير

المنزلى وهذه بالضبط هى الوظيفة الطبيعية للمرأة كما قلنا . ولمن تجمع المرأة الشهد ؟ طبعا لزوجها وأطفالها . وهذا بالضبط ماندعو اليه : ان تجمع المرأة الشهد لزوجها وأطفالها . وأن تعمل وتعمل وتعمل ولكن في التدبير المنزلى فقط . برافو ياخواجه مالينوفسكى ، لاشك أن العصر الحجرى الوسيط كان عصرا ذهبيا وأنتم تسمونه بالخطأ عصرا حجريا .

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : مهلا . مهلا ياأباالفتوح ياصباح . أنا موافق على أن تعمل المرأة فى التدبير المنزلى فقط ، ولكن على مستوى الدولة كلها . واذا كانت المرأة منذ ١٦٠٠٠ سنة تجمع الشهد بيديها فى سلتها لأسرتها بوسائل الانتاج البدائية هذه فقد تقدمت وسائل الانتاج بعد ١٦٠٠٠ سنة وأصبح فى امكانها اليوم أن تدير مصنعا لانتاج العسل الطبيعي والصناعي وكافة أنواع المربات وتعليبها بالوسائل الآلية فى البرطمانات أو الصفيح للاسرة الكبيرة وهى أسرة المجتمع كله بدلا من حجزها فى بيت سيادتك لتصنع لك وحدك مربة الخوخ والمشمش ولكى تتمكن المرأة من ذلك يجب أن تدخل كلية الزراعة . وقياسا على هذا يمكنها تربية العجول والاغنام وانتاج السمن والزبد والجبن للأمة كلها بدلا من تربية ديك ودجاجتين فقط على سطح سيادتك أيها التقدميون ! اهتفوا معى : فلتحيا الانثولوجيا ! فلتحيا الإنثروبولوجيا الاجتماعية !

مالينوفسكى : أنا سعيد بهذه المقاطعات أيها السادة ، وأرجوكم أن تقاطعونى كلما استطعتم ، فهذا أولا يريحنى من الكلام المتواصل فى شيخوختى ، وهو ثانيا يتيح لى البقاء فى بلادكم الجميلة هذه أطول مدة ممكنة ، وهو ثالثا يعطينى فرصة ذهبية لدراسة مجتمعكم البديع أنثولوجيا فأنا أرى أمامى نماذج بشرية ممتازة وغرائب فى التفكير والسلوك تستحق الدراسة والتسجيل . مثلا كل هذا الانفعال الجميل بسبب أن المرأة تعمل أو لا تعمل ، نحن نسينا هذا الانفعال فى أوربا منذ مائتى سنة بالضبط ، أى منذ الانقلاب الصناعى . واذا كان يهمكم أن تعرفوا تاريخ العمل بالنسبة للمرأة ، فالمرأة العاملة

بالمعنى التام بدأت منذ انتهاء عصر الصيد وابتداء عصر الزراعة ، أي منذ نحو ٧٠٠٠ سنة ، أما عصر الرعى فلا داعي للكلام عن العمل فيه سواء بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمرأة لأن الرعاة قد يحسنون المشي أو ركوب الخيل والابل أو الغزو والسطو ولكنهم لا يعملون بتاتا وكانت أول الاعمال التي قامت بها المرأة رسميا منذ ٧٠٠٠ سنة هي البذر والحصاد وصناعة المنسوجات . وأعتقد أن المرأة لاتزال اليوم تزاول فى ريفكم كل هذه الاعمال .

على الزيبق الجوكى الشهير بالزنبرك : وبناء عليه يجب أن نطالب للمرأة بادارة أراضى الاصلاح الزراعى وبادارة مصانع النسيج فى المحلة الكبرى وكفر الدوار وشبرا الخيمة . بهذا تمارس المرأة نفس الاختصاصات التى كانت تمارسها منذ ٧٠٠٠ سنة .

مالينوفسكى : هذا شأنكم وأنا لا أتدخل فيه والا قلتم عنى أني عميل . نحن نشكو اليوم من أن نساءنا يحكموننا . أنا مثلا كنت أسلم كل مرتبى لمسز مالينوفسكى ، ولا أستطيع أن أتأخر فى النادى أو البار بعد الساعة العاشرة وهو موعد اغلاق البارات فى انجلترا ، وعندما أريد أن أسمع باخ وموزار تفرض هى على سماع تشايكوفسكى وشوبان لأنها رومانتيكية فأحس بحاجة الى القىء .. حتى ألوان بدلى وكرافتاتى تختارها لى . ولكن صدقونى ، أن الحالة كانت أسوأ بكثير فى مجتمع العصر الذهبى ، أليس هذا ما تقصدون؟ أى عصر قديم هو العصر الذهبى ؟ كانت الحالة أسوأ بكثير فى مجتمع ما قبل التاريخ أو على الاصح قبل اكتشاف الزراعة . فقد كان النساء يحكمون الرجال حكما رسميا لا مجرد حكم مجازى ، وأقمن فى قبائل كثيرة نظاما سياسيا واجتماعيا يسمى « الجيناكوقراطية » أى « حكومة النساء » وهو مثل قولنا « أرستقراطية » لحكم الاشراف « ديموقراطية » لحكم الشعب . وقد اكتشف علماء القرن التاسع عشر أن سبب قيام هذا النوع من الحكم هو نظام الزواج على المشاع فى مجتمعات انسان

ما قبل التاريخ وفي مجتمعات الفطرة وقد بقيت بعض آثارهذ النظام في بعض مجتمعات الانسان التاريخي • وفكرة الزواج على المشاع طبعا فكرة تصدم الشعور ، ولكن اذكروا أنه لاشعور في العلم ، ثم ان بعض الفلاسفة المثاليين المحترفين من أمثال أفلاطون دعوا لها • وأفلاطون في « الجمهورية » أوصى بتطبيق الزواج على المشاع بين طبقتين في المجتمع : الطبقة الحاكمة وطبقه الجنود ليكون النسل أبناء الدولة بالمعنى الحرفي لا بالمعنى المجازي ، وأوصى بنظام الاسرة فقط للطبقة الثالثة وهي الطبقة الوسطى أو الطبقة البورجوازية من أرباب المهن والحرف • على كل حال نظام الزواج على المشاع ترتب عليه طبعا أن الأب كان غير معروف وأن ولاية الأم على الابناء كانت تامة ، وهذا أكسب المرأة مكانا ممتازا في المجتمع وبهذا انفردت بالسلطة السياسية والسلطة المدنية • اذا اردتم أن تسموا هذا المجتمع « مجتمع القطيع » فلا بأس من هذه التسمية ، كذلك كان للنساء سطوة عظيمه في اقتصاديات المجتمع عن طريق التدبير المنزلي وغير المنزلي •

على الزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك : أنا ألاحظ • أبو الفتوح الصباح يصر على تسمية هذا المجتمع بالمجتمع الذهبي • هو يمجد الفطرة اعطه مزيدا من الفطرة ياخواجة مالينوفسكي •

أبو الفتوح الصباح : أعوذ بالله ، أعوذ بالله •

مالينوفسكي : كانت حكومة النساء تستند الى مبدأ شرعي اسمه « الحق الاموي » باللاتينية « يوس ماترنوم » • وكان أول من لفت النظر الى وجود هذا النظام الاموي مبشر جزويتي اسمه لافيتو ، كان في أوائل القرن التاسع عشر يدرس قبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية ووجد هذا النظام ممارسا بين الهنود الحمر •

مجاهد بن الشماخ : ألم أقل لكم ؟ المبشرون دائما وراء هذه الافكار الحقيرة المفسدة •

مالينوفسكي : لاتغضب ياسيدي • أنت على حق الى حد ما •• هكذا بدا الامر في أول الامر ، لانه لم يتجول في المجتمعات

البدائية غير المغامرين والمبشرين • منابع النيل مثلا اكتشفها المبشرون وبعض المغامرين المجانين وربما بعض الجواسيس المثقفين ، فهل معنى هذا أن منابع النيل غير موجودة ؟ لماذا لا تتشبهون بنا ؟ أنتم ترسلون بعثات تبشيرية لنشر الاسلام في أفريقيا الاستوائية وترسلون بعض الملحقين والمدرسين ورجال العلاقات العامة ولو أن كل واحد من هؤلاء درس عادات القبائل الزنجية التى يتصل بها ولهجاتها ونظمها وديانتها

وكتب عنها تقارير لوزارتى الخارجية المصرية بدلا من كتابة التقارير والشكاوى في زملائه ، لاستفاد علم الانثروبولوجيا الاجتماعية فائدة عظيمة • وعلى كل حال فالاوربيون كانوامنذ ١٥٠ سنة مثلكم تماما ، فحين أعلن الاب لافيتو نظريته عن المجتمع الاموى (نسبة الى الأم لا الى أمية) صدمت آراؤه أبناء عصره ولم يقتنع بها الا الاقلون • حتى نشر باخوفن الالماني كتابه المعروف « الحق الاموى » فى ١٨٦١ فأحدث كتابه زلزلة

كبيرة فى أوروبا كلها واعتبرت آراؤه اكتشافات اجتماعية خطيرة • كانت نقطة الابتداء عند باخوفن ماروا هيرودوت من أن أهل ليسيا كانوا يسمون أبناءهم باسم أسرة الام ، فأخذ يجمع الشواهد من التاريخ ومن المجتمعات البدائية • من آداب القدماء ، وتوصل الى وجود مجتمعات عديدة تحكمها المرأةونظام الارث فيها يتبع الخط الاموى • وحتى فى بلادكم الجميلة اشتبه بعض العلماء فى أن أسماء القبائل المؤنثة مثل ثعلبة ومرة

وقضاعة وأمية ليست الا بقايا مجتمعات أموية قديمة جدا فى شبه جزيرة العرب كانت فيها حكومات نساء وبقيت الاسماء بعد انتقال هذه القبائل الى مرحلة المجتمعات الابوية • ولم يكن باخوفن هذا رجلا تقدميا يطالب بتحرير المرأة واشراكها فى

مسئوليات الحكم بالحق وبالباطل بل كان على العكس من ذلك رجلا محافظا ينظر بامتعاض الى سيادة المرأة ويعتقد أنها مرحلة تخلف وانحطاط وبدائية • فالطبيعة حقيقة جعلت المرأة هى الحاكم الطبيعى فى الاسرة والمجتمع •• وسيادة الرجل المتأخرة تقوم على الاغتصاب فى التنظيم الاجتماعى ، ولكنه اغتصاب كان فى

مصلحة الانسانيه وتقدمها • فعند باخوفن أن المـرأة مساوية للفطرة والجسد بينما الرجل مساو للمدنية والعمـل وسيطرة العقل والمدنية طبعا أرقى من سيطرة الجسد والفطرة • هذا على كل حال رأى باخوفن وحكمه وليس رأيى وحكمى فأنا ليست لى آراء وأحكام • أنا فقط أسجل وأجمع وأدرس ولكنى لاأصدر أحكاما • وطبعا هلل الذكور منذ مائه سنة لنظريات باخوفن

لأنها نادت بامتياز الرجل على المرأة ، ولكن الذكور فىأوروبا كانوا أغبياء لانهم لم يفهموا أن كلام باخـوفن رغم ارضـائه لغرورهم كان أول معول حقيقى قوض سلطان الرجل فى العالم لأنه زعزع ايمان الناس بسيادة الرجل سيادة أزلية أبديةوعرف الناس أن الرجل لم يكن دائما حاكما فى الاسرةوفى المجتمع • والحاكم الطارىء يمكن أنينزع منه الصولجان ، فهوقابل للعزل أو التنازل •

ولم يلبث الاثنولوجى الامريكى مورجان أن دعم نظـريات باخوفن فتتبع تحول مجتمع قبيلة من الهنود الحمر هم الايركوا من نظام الحق الاموى الى نظام الحق الابوى فى زمنه وكتبعنها ودرس شيوعية الزواج فى مجتمعـــات القطيع وظهور بدايات التنظيم الاجتماعى فى مجتمع الصيد حيث قسمت كل قبيلـة الى مجموعات ، كل مجموعة رجالها حرم عليهم أن يتزوجوا من نسائها ولكن أبيح لهم أنيتزوجوا مننساء المجموعات الاخرى ، مع بقاء الزواج جماعيا لا فرديا ، وهو ما أبقى المجتمع تحكمـه

المرأة فى كل ما يتصل بعلاقات الاسرة وبالتوريث نظرا لعـدم تحديد الآباء • ولكن ما أن تطورت وسائل الانتاج بحيث أمكن للفرد أن يستغنى عن الجماعة حتى ظهر التخصص فى الزواج، أى ظهرت الاسرة بالمعنى الحديث كنتيجة مباشرة لظهور الملكية الفردية • وانتقلت السيادة للرجل باعتبار أنه الاقوىوالانشط فامتلك الرجل المرأة وفرض عليها التخصص له بينما احتفظ لنفسه بحق التعدد الى مدى ملكيته لضمان انتقال الارث الى أولاده هو لا الى أولاد الرجال الآخرين • وهكذا انتقل المجتمع من النظام الأموى الىالنظام الأبوى بظهور الملكية الخاصة ومعه

ظهر نظام الرق الذى لم يكن معروفا فى الشيوعية الاولى ، ظهر نظام الرق لما للرقيق من قيمة اقتصادية فى فلاحة الارض والزراعه بوجه عام • وبهذا كان اكتشاف الزراعة هو الخط الفاصل بين مرحلتين فى تاريخ البشرية ، مرحلة الشيوعية البدائية ومرحلة الملكية الفرديه وهكذا كانت مرحلة الملكية الفردية بداية ظهور نظامين من أهم النظم الاجتماعية التى عرفتها الانسانية : نظام الرق ونظام الاسرة حيث الرجل لا المراة هو رأس الأسرة ورأس القبيلة ورأس الدولة ورأس كل تنظيم اجتماعى • وتوالت الدراسات لتؤيد جوهر هذه النظرية بين الهنود الحمر والاسكيمو وزنوج أفريقيا واليونان والرومان ومصر القديمة وسكان ميلانيزيا وبولينيزيا ••الخ •• أراكم تتثاءبون يا سادة متأسف أنى لست مسليا بالشكل الكافى •

القط الاسود الأليف : لا • لا • هذا الكلام مثير • أنا شخصيا متحمس • أنا رأيت بعض مظاهر الزواج الشيوعى بين الشلوك والدنكا عندما زرت الملكال فى العام الماضى • وأنا شخصيا غير مهتم بالتنظيم لاجتماعى ، ولكنى مهتم بالتكوين النفسى لفطرة الانسان • الحب والغيرة •• كل فنان يجب أن يهتم بالحب والغيرة • ورأيى أن انسان الغابة أرقى من انسان الفيللا •• أنا بورجوازى ولكنى متحمس لهذا الكلام •

مالينوفسكى : على العموم أنت لست وحدك المتحمس • قبلك فى القرن التاسع عشر التقط آباء الشيوعية كارل كارس وأنجلز وبيبيل كلام مورجان ورفعوه راية لتحرير المرأة • أنجلز وبيبل بالذات أقاموا المظاهرات ـ فى الكتب طبعا ـ لأراء مورجان وفصلوا منها ثوبا غريبا على قامة نظريتهم الشيوعية: مادام نظام الاسرة وسيادة الرجل قد ظهرا ـ كنظام الرق ـ بظهور الملكية الفردية فباختفاء الملكية الفردية سيختفى نظام الاسرة وستختفى سيادة الرجل وسيختفى نظام الرق •فى البدء كانت شيوعية الفطرة وفى النهاية ستكون شيوعية المدنية • الملكية العامة لوسائل الانتاج •• الآلى والحيوانى والنباتى •• الفكرة رومانتيكية غريبة وتشبه البيوت التى يبنيها الاطفال بالمكعبات •

أبو الفتوح الصباح : الفكرة حيوانية حقيرة :

ابن سيرنوف : الفكرة صحيحة نظرياولكنها سابقة لأوانها عمليا .

ابن ماركوف : الفرق بين زراعة أبناء الأسرة وزراعة أبناء الدوله هو الفرق بين الكولخوز والسوفخوز . وبالتقدم من الاشتراكية الى الشيوعية ستتقدم من الكولخوز الى السوفخوز . الفكرة صحيحة نظريا كما قال ابن سيركوف ولكنها سابقة لأوانها .

أبو الفتوح الصباح : ياصانع الأقنعة هل أنت نائم ؟أرحنا من هذه الحقارات والتهجم على المقدسات والا خلعت هذا الحذاء، أطرد هذا الخواجه وكل هؤلاء الصبية .

ماتينوفسكى : ولماذا تطردنى ؟ أنا من رأيك ولكن لغير الاسباب التى تبديها . نحن فى أوروبا نرد على العلم بالعلم ونرد على المقدسات بالمقدسات . كنا مثلكم وأفظع منكم ، نغضب اذا لم يعجبنا كلام الغير ونعقد محاكم التفتيش ونحرق خصومنا فى الرأى على الخازوق ، ولكننا اكتشفنا أن الاضطهاد ، للافكار كالزيت للنار يزيدها اشتعالا كماحدث فى تاريخ الادباء والمذاهب الكبرى وتعلمنا الدرس فعالجنا هذه المسائل بالمؤتمرات والندوات .. بالحوار . بالحوار فى الكتب وفى الصحف وفى القاعات وفى الاذاعة والتليفزيون وهم يفعلون مثلنا فى أمريكا . وقد بلغنى أنهم أخذوا بهذا المبدأ أيضا فى الاتحاد السوفييتى بعدموت ستالين . المسألة بسيطة . نحن اكتشفنا أن القردة العليا متخصصة فى الزواج وأن هذا من أسباب تقدمها على القردة السفلى كالنسانيس مثلا . اكتشفنا أن التخصص فى الزواج أو مانسميه نظام الاسرة ليس اختراعا بورجوازيا كما يقول بعض الشيوعيين ولكنه اختراع انسانى عظيم لايقل مثلا عن توليد النار أو اختراع العجلة أو تفتيت الذرة ، وهو السبب الاول أو من الاسباب الاولى فى الانتقال من ماقبل التاريخ الى التاريخ . لان تحويل القطيع لوحدات صغيرة أسمها أسر كان معناه تعيين معلم أومعلمة بالمجان فى كل بيت ، ملايين المعلمين . دون أن يدفع المجتمع قرشا واحدا من مرتباتهم ، معلم ومعلمة على

كل عشرة أطفال · باختصار ضاعفنا عدد المعلمين فى المجتمع ، لان الطفل فى زواج القطيع لاتربيه غير أمه ، وهى عادة مشغولة باعمال الاسرة المباشرة ·. أما فى مجتمع الاسرة فالاب يساعد الام فى تربية الطفل · وبعد فترة الحضانة يصبح المعلم الاب انفع للطفل من الام المعلمة لان الام تعلمه كيف يستهلك اما الاب فيعلمه كيف ينتج · المسألة ليست أن امتياز الرجل على المرأة هو الذى خلق الحضارة كما كان يقول باخوفن · المسألة أن مجتمع الاسرة ضاعف عدد أعضاء هيئة التدريس فيه فنشأت الحضارة · وقد ثبت بالتجربة أن الوالدين بوجه عام أخلص فى تعليم الابناء من الغرباء لانهم أولا يرون أنفسهم من أبنائهم ولانهم ثانيا متفرغون لهم · وكل هذا بالمجان · تصوروا · وأنتم فى مصر شعب حكيم ، فقد بلغنى أن عندكم مثلا يقول فى وصف خيبة الامل : « ياباني فى غير ملكك يامربى فى غير ولدك » · واذا كان عقوق الابناء مشهورا فما بالكم بعقوق أبناء الغير ! باختصار : نظام الأسرة كان ثورة تربوية وتعليمية · وهذه الثورة ساعدت على نقل الانسان من الهمجية الى المدنية · صحيح أن ظهور نظام الاسرة ترتب على ظهور نظام الملكية الخاصة ولكن العودة لنظام الملكية العامة لايستلزم بالضرورة العودة لنظام الزواج الجماعى هذه تكون غباوة لأن معناها التنازل باختياركم عن نحو ثلاثة ملايين مدرس خصوصى متفرغ مجانى · وفى الهوجة الشيوعية الاولى ظن الروس حتمية الزواج الجماعى مع حتمية الملكية الجماعية لمجرد أنهم قرأوا هذا الكلام فى أنجلز وبيبل ثم تخلصوا فورا من هذه الحرفية الصبيانية وحافظوا على نظام الأسرة بعد أن عدلوا بعض قوانين الزواج البالية · وهذا ما فعلناه نحن أيضا عدلنا بعض قوانين الزواج البالية وحافظنا على نظام الاسرة ·· لاتخافوا ياسادة · أنا لست شيوعيا ولكنى أقول لكم أنه ليست هناك علاقة حتمية بين الملكية الجماعية والزواج الجماعى والا كانت العودة الى الشيوعية الاولى معناها العودة الى الأسلحة الاولى أو الحياة على طريقة الهنود الحمر ويمكنكم أن تؤمموا كما تشاءون اذا وجدتم فى هذا نفعا لكم ، ولا تخافوا على نظام

الاسرة ·· أنا شخصيا لاأوافق على نظام الملكية العامة ولـكنى تتبعت بامتعاض شديد حملة التشهير بالاتحاد السوفيتى التى قامت بها صحافتنا الصفراء بين الحرب ين لتثبت أن الروس عادوا - جنسيا - بسبب الشيوعية الى فردوس القطط والكلاب · انهم مازالوا مثلنا أقرب الى القردة العليا ·

صانع الأقنعة : هل انتهيت ياخواجة ؟

مالينوفسكى : أنا لم أنته بعد ·· أنا تعبت ·

صانع لأقنعة : انت ممل جدا ولكنك مفيـد · سـنعطيك اسبوعا كاملا للراحة ·· حتى يوم الجمعـــة القادم · رفعت الجلسة ·



بناح/حتب وحمورابى وشركاهم

قال رئيس الجلسة ، صانع الاقنعة ، للخواجة مالينوفسكى:
ـ تفضل يا خواجه . قل كل ماعندك فى جلسة واحدة . هذه ليست أكاديمية ولا قاعة محاضرات ، انما مجرد حوار فكرى . ثم أن بعض الاعضاء مستاء من تجديد اقامتك ، ويطالب باعادتك فورا الى وطنك بأول طائرة .

مالينوفسكى : أنا لاوطن لى . العالم كله وطنى . ألستم تقولون فى بلادكم الجميلة : العلم لا وطن له ؟ أنا عالم : اذن لا وطن لى . أنظروا الى أسمى : مالينوفسكى . أى روسى بولندى . ومع ذلك أقيم فى انجلترا وأدرس فى جامعات انجلترا وأطوف بجامعات العالم .
ابن ماركوف : أبيض أو أحمر ؟
مالينوفسكى : لاأبيض ولا أحمر ، أنا من اللون الثالث .

ابن ماركوف : وما هذا اللون الثالث ؟
مالينوفسكى : أنا تكنوقراطى ، خبير من طبقة الفنيين كما تقولون فى بلادكم : خبير أجناس وعادات وتقاليد ، والتكنوقراطية ليس لها لون محدد ، هى تخدم فى كل نظام ، تماما مثل البيروقراطية ، وتماما مثل طبقة المديرين ، نحن مثلا ندرس الاجناس أو نصنع الصواريخ أو تدعونا البلاد المختلفة

لوضع التقارير عن مشاكل التضخم أو اختلال ميزان المدفوعات أو الانفجارات السكانية أو التنمية الصناعية ، نحن لا نسأل : ما لونكم ؟ رأسمالي ؟ شيوعي ؟ ثيوقراطي ؟ سمخراطي ؟ جنبلاطي ؟ فلماذا تسألوننا عن لوننا ؟ نحن خبراء •

مجاهد بن الشماخ : خبراء تخريب ••

مالينوفسكي : نعم هذاصحيح • بعضنا فعلاخبراء في نسف المعتقدات الفاسدة ، على كل حال انا لست منهم ، لو كنت منهم لكانت مسز مالينوفسكي تصيف فيدوفيل وبياريتز ولاتوكيه بدلا من أن تصيف في برايتون وبلاكبول مع زوجات البقالين وموظفي البنوك • أنا مجرد خبير أجناس وعادات وتقاليد ، اذا أردتم مثلا أن تعرفوا ما أصل عادة الختان عندكم رغم عدمالنص عليها في ديانتكم ، أو لماذا تزورون المقابر رغم نهى ديانتكم عن زيارتها ، أو لماذا تقاومون دعوة تحديد النسل رغم انكممهددون بمجاعة سنة ١٩٨٠ حيث سيبلغ تعدادكم ٤٥ مليونا ، فأنافي خدمتكم • كل ماأطلب هو عقد خمس سنوات قابلة للتجديد لمدة اقامتي ، أنا شخصيا من نوع التكنوقراطية التي تصنع القنابل الذرية وسفن الفضاء وأفكار السلام وأفكار الدمار ولا يهمها من يستعملها او لماذا يستعملها ، ضمير مهني ، نعم • اما ضمير انساني ، فلا • نحن خدم ممتازون في كل دولة • او على الاصح كنا خدما ممتازين حتى الحرب العالمية الثانية ، فلما زاد عددنا بتعقد المدينة تكونت منا طبقة لا تستطيع أي دولة الاستغناء عنها ، والشعار الان في بلادنا : يا تكنوقراطيي العالم اتحدوا لتحكموا العالم ، هناك طبعا كلام فارغ كثير عن اخطارنا وضرورة الحد من شوكتنا ، ولكن كل هذه سخافات ، لانه ليس لنا بديل في أي نظام • أنتم مثلا ، أنا أقمت بينكم اسبوعا واحدا وعرفت للفور ان عندكم مشكلة تجمع طبقي تكنوقراطي ــ بيروقراطي ــ اداري لمكافحة تقدم الاشتراكية في بلادكم ، وهذا مألوف ، ثم زواج مصلحة غير مألوف بين انتهازية اليمين وانتهازية اليسار ، أنتمبحاجة الى خبير أو خبراء في التنظيم الاجتماعي ، أنا أرشح لكم صديقي البروفسور ••

صانع الأقنعة : ماكل هذا الاستطراد ياخواجه ، أنت جئت لتحدثنا عن حال المرأة الذهبية في العصر الذهبى ، فما كل هذا اللغو عن التكنوقراطية والبيروقراطية ؟ ٠٠ أدخل فى الموضوع والا فاسكت ٠

مجاهد بن الشماخ : ألم أقل لكم ان هـذا لاوروبى النجس لا يريد أن يعود الى بلاده ؟ هل سمعتم ؟ انه يطلب عقد عمل ٠٠ اطرده ٠

صانع الأقنعة : بالحسنى بالحسنى ٠

كاهن أنوبيس : أناأحتج علىالخواجه مالينوفسكياذا استمر فى الكلام ، هو حدثنا عن حـالة المرأة الذهبيـة فيمـا قبـل التاريخ ، وهذا حقه لانه اختصاصىفى مجتمعات الفطر الذهبية٠ أما أن يدخل فى التاريخ فهذه اساءة لتاريخنا ولتاريخ الجنس البشرى ٠ اذا تكلم مالينوفسكى عن قدماء المصريين فسأنسحب لن أسمح أن يعامل قدماء المصريين معاملة البوشمان والهوتنتوت والاشانتى ٠ الينا بمؤرخ ٠

مالينوفسكى : انتم فعلا بحاجة لمؤرخ ، الى متعهـد توريد حضارات قديمة ووسيطة وحديثة ٠ أنا سعيد يا سادة بأنكم أصبحتم تميزون بين الانتروبولوجى والمؤرخ ، لابد أن هـذا حدث بعد ثورة ١٩٥٢ ، فقد كنا أيام فؤاد وفاروق نرسـل لكم السمكرى فتعينونه مديرا للمصانع والشاويش فتعينونه حكمدارا والمرابى فتعينونه مستشارا ماليا ٠ أنا أعرف طبيبا بيطريا كان يدرس الأدب الانجليزى بجامعـة القاهـرة ، على الاقل أنتـم تفضـلون الآن الحـواة لشغل المناصب الكبرى ٠ والحواة أرقى بكثير من هذه الحثالة ، فحواة الثقافة يستطيعون أن يثبتوا لكم ان الشيخ زبير هو الذى كتب أعمال شكسبير وأن عباس بن فرناس هو الذى بدأ فى غزو الفضـاء وان اللغة العربية أقدم من اللغة اليونانية وان ايخمان رسول من رسل القومية العربية وان المسيح صلب ولم يصلب بحسب الظروف الدولية تماما مثل الحواة من كرادلة المجمع المسكونى، وأن خوفو بنى الهرم لتنشيط السياحة وأن أبا ذر الغفـارى هو مؤسس المادية الجدلية وابن خلدون هو واضع الاشتراكية

العلمية • وحواة الاقتصاد يثبتون لكم كل يوم بعلم السيمياء ان الرقم القياسى لنفقات المعيشة فى انخفاض مستمر وان القاهرة أرخص بلد فى العالم وان نسبة نجاح الخطة الخمسية ٥٠٠٠٪ وان احتياطيات مصر من البترول تربو على كل احتياطيات العالم مجتمعة ، وانه انفع للاقتصاد القومى أن يبيع خريجو الجامعات الزائدون الدجاج فى الجمعيات التعاونية من أن يقوموا بمحو الامية ، وأمهر هؤلاء الحواة جميعا هم من يستطيعون أن يثبتوا أن موارد مصر تستطيع اطعام سكان الصين الشعبية ، سأنسحب فورا أيها السادة • واشكركم على حسن الضيافة وحسن الاستماع • اذا أردتم مؤرخا ، فلماذا لا تدعون صديقى السير جيمس فريزر أو هيكله العظمى على الاصح ؟

كاهن أتوبيس : نحن نعرف من نوعو ياخواجه • كل أساتذة جامعتنا يقولون : هاتوا روستوفتسيف •

صانع الأقنعة : روستوف •• ايه ؟

كاهن اتوبيس : روستوفتسيف •

صانع الأقنعة : لماذا تختار هذه الاسماء الصعبة ؟

كاهن أوتوبيس : أنا لاأختار ، هذا أحسن الموجود •

مجاهد بن الشماخ : أنا معترض على دعوة هذا المبشر المسيحى الشيوعى الامريكى ، ألا ترون أن اسمه شيوعى ؟

ابن ماركوف : موافقون •• أى : أوف ، أو ايف أوافسكى أو انسكى موضع ثقة فى أى علم من العلوم • مثلا • مندليف حجة فى الفلزات واللافلزات ودياجيليف حجة فى الرقص ، وليونتييف حجة فى الموسيقى وزينوفيف حجة فى المؤامرات كذلك بافلوف حجة فى البيولوجيا وتيتوف حجة فى غزو الفضاء ومولوتوف حجة فى السياسة الخارجية وجوكوف حجة فى الحرب ورمسكى كورساكوف حجة فى شهر زاد وشرباتوف حجة فى الفلسفة وتوجان بارانوفسكى ومایاكوفسكى ، ثم لاتنسبوا أيضا من ينتهون بمقطع أين ، مثل بوخارين وجاجارين وباكونين وبورودين • كلهم كلهم موضع ثقتنا •

ابن سيركوف : لا · لا · روستوفتسيف أمريكي من أصل مصرى · ثم انه ليس شيوعيا ·

ابن ماركوف : ولو ··

مجاهد بن الشماخ : بالضبط هذا يثبت ماقلته من أنه جامع النقيضين : مبشر وشيوعى ·

صانع الأقنعة : يبدو أن الاغلبية موافقة ، ولكن لغير الاسباب التى أبداها مجاهد بن الشماخ ·· أدباؤنا لم يسمعوا بعالم في التاريخ القديم بعد شمبوليون وماسبيرو ومرييت لان هناك شوارع بأسمائهم حول الانتكخانة ، وبالاخص ماسبيرو الذى فيه التليفزيون العربى واذونات الصرف ، وعندما تشطب الحكومة أسماءهم وتسمى الشوارع شارع أحمد باشا محرم وشارع سليم بك حسن وشارع كمال الملاخ فلن يعرف أدباؤنا احدا من هؤلاء الخواجات ·· القاعدة فى مصر : اسمى على شارع اذن فأنا موجود · سليمان باشا الفرنساوى مثلا ألغينا شارعه فألغينا وجوده · هل توافقون على دعوة شبوليون ؟

المعلم العاشر : ولكن معلوماته قديمة · ادع برستيد أو اليوت سميث أو فلندرز بيترى ·

أصوات كثيرة : موافقون · موافقون الدهن فى العتاقى ·

صانع الاقنعة : الاغلبية موافقة · أدخل ياشمبوليون ·

وهنا اختفى مالينوفسكى فى طرفة عين ، ودخل شمبوليون فى طرفة العين الاخرى ·

شمبوليون : أنا مت منذ ١٣٠ سنة فلماذا تزعجوننى من قبرى ؟ ماذا تريدون ؟

صانع الاقنعة : متأسفين · · ولكن أردنا أن نعرف منك شيئا فى حال النساء فى العالم القديم لنقارنهن بنساء اليوم · هناك بيننا من يقول ان نساء الزمان الغابر كن أفضل من نساء اليوم ، ويطالب لذلك بالعودة للزمان الغابر · أنا أنبه على جميع الحاضرين ·· ممنوع المقاطعة ·

شمبوليون : أنا لا أعرف حكاية أفضل وأردأ هذه · هذه أحكام ، وانا لا أتعامل الا مع الحقائق فقط ·

ابو الفتوح الصباح : يعنى ان نساء زمان كن أولا يقبلن

حكم الرجال ولا يفكرن فى هذه السخافات التى يسمونها اليوم تحرير المرأة .. وكن ثانيا أكثر عفة من نساء اليوم .

صانع الاقنعة : ممنوع التعليق .

شمبوليون : عفة ؟ هيء ... هيء ...هيء ... أين ؟ فى اليونان؟ أنت لا تقصد ان هيلانة طرواده وفيدرا وجوكاستا وميديا وكليتمنسترا كن نماذج فريدة فى العفة ؟ الادب اليونانى والرومانى أكثره منسوج حول نساء خائنات أو ضاريات . فى مصر القديمة عندكم قصة زليخة أمرأة فرعون تتردد كثيرا فى الادب المصرى القديم . مكررة بحذافيرها فى قصة الاخوين وفى قصه المرأة عاشقة الفتى الذى أكله التمساح المسحور وغيرها . أليس الأدب مرآة الحياة ؟ أما فى بابل فهيرودوت قبل نحو ٥٠٠ ق . م (١/١٩٩) فان كل امرأة فى بابل ، يعنى العراق، كانت قبل زواجها تذهب الى معبد عشتروت ربة الاخصاب وتسلم بكارتها لاحد الغرباء ، أى غريب يأتى ويلقى فى حجرها قطعة من النقود . طبعا هذه كانت طقوسا دينية . نوع من النذر ، كما تسمونه هنا ، لربة الاخصاب ، أو قربانا تقدمه المرأة لربة الاخصاب ، وكان محرما عليها أن تجرب هذه التجربة مرة ثانية بأى حال من الاحوال ، اذا كانت هذه عفة ، فلا بأس ، لا بأس . فى امريكا اليوم كثير من البنات يقمن بهذه الجراحة قبل الزواج عند الطبيب ، لاسباب صحية لا لأسباب دينية . تعددت الاسباب والفعل واحد .

أبو الفتوح الصباح : أعوذ بالله أعوذ بالله ..

شمبوليون : أما حكاية خضوع المرأة لولاية الرجل فى العالم القديم فهى صحيحة بوجه عام : صحيحة بين اليونان . صحيحة بين الرومان . المجتمع الوحيد الذى شذ عن هذه القاعدة هو المجتمع المصرى القديم .

فى معلوماتى القليلة عن تاريخ الشرق القديم أن مصر هى التى ابتدعت حركة تحرير المرأة . مثلا فى بردية آنى (نحو ١٣٠٠ ق . م .) مايثبت أن الزوج المثالى فى مصر القديمة هو الذى كان يغسل الصحون مع زوجته ويقشر معها البطاطس،

مثل الزوج الامريكى ، ويعاملها معاملة الند ، فلا يستعمل معها «المريسة» ، آنى ، حكيم الدولة الحديثة ، يضع للازواج القواعد الذهبية للزواج السعيد فيقول :

« لا تمثل دور الرئيس مع زوجتك فى بيتها اذا كانت ماهرة فى عملها ، ولا تسألها عن شىء أين موضعه اذا كانت قد وضعته فى مكانه الملائم ..

« واجعل عينيك تلاحظان فى صمت حتى يمكنك أن تعرف أعمالها الحسنة .

« وانها لتكون سعيدة اذا كانت يدك معها تعاونها .. »

ففى عصركم الذهبى اذن كان الرجل الذهبى مرمطونا عند المرأة الذهبية . وكانت المرأة المصرية تسمى « نبت بر» أى « ست الدار » أو « ست البيت » ، ولكن النقوش والنصوص المصرية القديمة تثبت أن سيادتها تجاوزت مملكة البيت ، أوعلى الاصح جمهورية البيت الديمقراطى الشعبية ، فكانت تزرع وتقلع وتخرج الى المدرسة والى السوق وتتاجر وتزاول مختلف الحرف من الصناعة الى الصيد وتتسكع فى الطرقات بلا حارس او شابيرون أو رقيب ، وكانت طبعا سافرة . وقد استخلص بعض المؤرخين من أدب الغرام فى مصر القديمة ان المرأة هى التى كانت تخطب الرجـل .. على أى حال فى كل تاريخ بابل واشور لانسمع الا عن اسم ملكة واحدة حكمت فى الرجال هى سميراميس ، مؤسســـة مدينة بابل وبانية الحدائق المعلقـــة المشهورة . أعتقد أنكم فى القاهرة أقمتم فندقا لتخليد ذكراها، وفى أعلاه روف جاردن لتخليد ذكرى الحدائق المعلقة . أما فى مصر فقد حكمت ملكات كثيرات ، وكن ذوات سطوة عظيمة : أحيانا بمفردهن وأحيانا مع أزواجهن . أحيانا بقـوة القانون وأحيانا بقوة الواقع . خذوا مثلا نايت حتب زوجة مينا ومريت نايت زوجة أوســافايس وحتشبسوت أخت تحتمس الثالث وتاى ونفرتيتى ونفرتارى ونيوكريس وكليوبترا .

خولة المايسطرية : لاتنس شجرة الدر ياخواجة شمبانيا .

شمبوليون : بالضبط . بالضبط . وحتى بعدانتشار اديان..

التوحيد كان عندكم هيلانة المصرية أمبراطورة بيزنطـــه وأم الامبراطور قسطنطين ، وكذلك ست الملك وشجرة الدر ، ولو اننا نظرنا فى كل حضارات العالم القديم لما وجدنا شعبا سلم ذقنه للنساء الملكات قبل الشعب المصرى • مجرد الاحصاء يكفى • طبعا هذا لا يدل على الضعف لانكم لا شك كنتم تضربون نساءكم عند الضرورة كما كنا نحن نفعل منذ قرون • ولكن هذه مسألة اخرى • انما يدل هذا على أن المرأة عندكم حصلت على حقوقها السياسية من أقدم العصور • فلماذا تشتكون ؟ ثم ان ملكاتكم عرف عنهن انهن نساء جميلات طامحات بارعات فى فنون الحب والحرب والسلام ، كما كن ماهرات فى الدسائس لحســـابهن الخاص ولحساب الدولة • ونحو عام ١٥٠٠ ق • م • استشرى نفوذ النساء عندكم واضمحل نفوذ الرجال لدرجة أن كثيرين من الملوك تحولوا الى مجرد امراء يحملون لقب « زوج الملكة » على طريقة دوق ادنبره الان فى انجلترا • وطبعا هذا الاسراف فى تحرير المرأة ، ككل اسراف • كان له رد فعل شديد ضــد حكم النساء ، فقامت حركة بقيادة الجيش لاقصائهن عن الحكم ، وتبلورت هذه الحركة فى النزاع المشهور بين تحتمس الثالث واخته حتشبسوت • ولكن المرأة المصرية مع ذلك لم تيأس • فبعد أن ضاع سلطانها فى القصر حكمت مصر من المعبد ، ونحو القرن ٨ ق • م • أى فى الاسرة ٢٣ ، أصبحت أحدى الاميرات رئيسة الكهنة بمعبد آمون فى طيبة ، وكانت تستشار أو على الاصح تستخار بالعرافة ، فقد كان الاله آمون يتكلم من فمهـا وينطق بلسانها ، قبل اتخاذ أى قرار سياسى خطير • ولم يكن مسموحا لها أن تتزوج الا من الاله آمون ، ولكن سمح لها أن تتبنى بنتا صغيرة تدربها لتخلفها فى وظيفتها • وبذلك أصبح معبد آمون مقرا لحكومة غير رسمية فى الاقصر استمرت أكثر من ٢٠٠ سنة حتى غزا الفرس مصر •

والمرأة المصرية لم يقف نفوذها عند السـياسة بل اكتملت سيطرتها فى البيت أيضا ، لدرجة أن الرحالة اليونان دهشوا من حرية المرأة المصرية واستفحال سلطانها • ديودور الصقلى

مثلا كتب ان طاعة الزوج لزوجته كانت من الشروط التى ينص عليها فى عقود الزواج فى مصر • ولكن الأرجح أن هذه كانت نكتة يونانية سمجة عن المصريين كالنكت التى يطلها عندكم البحاروة عن الصعايدة والصعايدة عن البحاروة ، وصــديقى العلامه فلندرز بيترى فى القرن ٢٠ كتب أن « الزوج حتى فى العهود المتأخرة كان ينزل لزوجته فى عقد زواجـه عن جميع املاكه ومكاسبه المستقبلة » يعنى المثل عندكم فى مصر القديمة كان زواج وخراب ديار • على العموم أى أنســان معذور اذا

استخلص هذه الصورة عن الحياة الزوجية فى مصر القديمة ، حين يقرأ فى قصيدة غرامية كـلام البنت وهى تقول للولد : « يا صــديقى الجميـل ! انى أرغب ان أكون صـاحبة كـل املاكك ، بوصفى زوجتك » • فهو بمثابة قولها : « خذنى فى احضانك لانشل محفظتك » • طريقة غريبة فى الغرام ، ولكنها على الاقل تدل على صراحة نساء العصر الذهبى عندكم • نسوتنا اليوم يفعلن هــذا ولكن بالحداقة • وفى المتحف المصرى عقد زواج من سنة ٢٣١ ق • م • بين رجل أسمه امحوتب وبنت اسمها تاحاتر نصه :

(يقول امحوتب لتاحاتر : « لقد اتخذتك زوجة ، وللاطفال الذين تلدينهم لى كل ماأملك • وما سأحصل عليه • الاطفال الذين تلدينهم لى يكونون أطفالى ولن يكون فى مقــدورى أن اسلب منهم أى شىء مطلقا لاعطيه الى آخر من ابنائى ، أو الى اى شخص فى الدنيا • ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهريا وسنويا ، وسأعطيه لك أينما أردت (غالبا يقصد سواء فى بيتى أو بيت أبيك • أو ربما فى المعمورة أثناء الصيف)، واذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة واذا اتخذت لك ضرة أعطيتك مائة قطعة من الفضة (وهذا اما رشوة لها لتبقى معه أو اعتراف بأن التعذيب العقلى أفظع من التشريد) • ويقول أبى : « تناولى عقد الزواج من يد ابنى كى يعمل بكل كلمة فيه •• انى موافق على ذلك • • » •

ثم يلى ذلك توقيعات ١٦ شاهدا على العقد • والعقد معقول

لانه يعطى كل شيء للاولاد وليس لتاحاتر نفسها ، ومصادرة كل أملاك أمحوتب لحساب أولاده من تاحاتر ليس له الا معنى واحد فى مجتمع كان يسمح بتعدد الزوجات : ان تاحاتر هى الزوجة «الشرعيه» الوحيدة ، وكل من سيأتى بعدها يدخل فى باب «المحظيات» وهى أنجح طريقة للحد من تعدد الزوجات ولمنع تفتيت أملاك الاسرة ، وهذا ما جعل الطلاق نادرا فى مصر القديمة ، الا فى عصور الانحطاط ، وكان للمرأة حق طلب الطلاق تماما مثل الرجل حتى جاء اليونان بأفكارهم الاوروبية الرجعية وقصروا حق الطلاق على الرجل أيام البطالسة • أما تعدد الزوجات فلم يكن معروفا الا فى الطبقات الموسرة • وكان أبناء الشعب يكتفون بزوجة واحدة ، غالبا لضيق ذات اليـد • وقد اكتشفت المرأة المصرية الحديثة هذا السر ، وهذا هو السبب فى انها تنتف دائما ريش زوجها أولا بأول حتى لا يطير من عش الزوجية • ومع ذلك لم يفكر أحد منكم ان هذا يؤثر فى اقتصادكم القومى ، على كل حال ، واضح من الادب المصرى القديم أن المصرى كان رومانتيكيا وواقعيا وكلاسيكيا ورمزيا معا فى فكرته عن المرأة وفى معاملته لها • أما اللامعقول فلم يظهر عندكم الا فى الالف سـنة التى التى حكمها الترك والمماليك ، خذوا مثـلا بتاح حتب ، حكيم الدولة القديمة (٢٥٠٠ ق •م•) وهو يحض ابنه على الزواج ويسلمه مفتاح السعادة الزوجية :

« أحب زوجتك فى البيت كما يليق بها واملأ بطنها واكس ظهرها •

واعلم أن الدهون العطرة علاج لأعضائها ••

اسعد قلبها مادامت حيه •

« لانها حقل طيب لأولادها ••

وان عارضتها كان فى ذلك خرابك »

أما وصايا الحكماء فى احترام المـرأة كأم فنجدها فى بردية بولاق حيث يوصى الحكيم الابن باحترام أمه للأسباب البيولوجية المعروفة ثم يضيف :

« ولما دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقف فى كل يوم الى جانب معلمك ومعها الخبز والبيرة جاءت بهما من البيت» •

والأغلب أن الخبز والبيرة هنا للمعلم لا التلميذ • على كل حال الوصف رومانتيكي ويجعل الانسان يتمنى لو كان معلما في مصر القديمة يشرب البيرة بين الحصص • فاذا كانت أم تأتي للمعلم يوميا برغيف وزجاجة استيلا كان هذا أجدى على المعلمين من مرتبات وزارة التربية والتعليم ، ألا توافقونني على أن هذا كان عصرا ذهبيا للنساء والمعلمين ؟

الماركسية المسخسخة : كيف تقول انه كان عصرا ذهبيا للنساء وأنت تعلم أن القانون المصرى القديم كان يبيح امتلاك الاماء •

شمبوليون : وامتلاك العبيد أيضا • امتلاك البشر للبشر مسألة أخرى • والحقيقة أن الحالة تحسنت بعد سنة ٢٠٠٠ ق،م • تقريبا بتعديل قوانين الاحوال الشخصية في مصر القديمة • فقبل هذا التاريخ كان «الزواج» مجرد الزواج بالمعنى القانونى اى الزواج بعقد ، امتيازا تتمتع به الطبقات الممتازة وحدها ، أما أبناء الشعب فكانوا يتزوجون بلا عقود • فثارت ثورة شعبية كبرى نحو ٢٠٠٠ق٠م٠ وكان المتظاهرون من العمال والفلاحين والحرافيش يرفعون اللافتات ويهتفون : « القطط والقرود تتزوج بلا عقود !» «تحيا عقود الزواج!» «نريد عقود زواج!» وأذعنت الطبقة الحاكمة فأعطت لأبناء الشعب حق الزواج بعقود •ويقول بعض المؤرخين ان البروليتاريا المصرية لم تنتفع كثيرا من هذه العقود لان العقود تنظم الملكية والبروليتاريا بلا ملكية • ولكن ثابت من الوثائق أن هذه الثورة أعطت الفقراء الحق في أن تكون لهم «مقابر أسرة» ،تقيم فيها الاسرة شعائر الموتى ، وبهذا وحده أمكن الموتى الفقراء دخول العالم الآخر بحسب معتقدات قدماء المصريين ، كانت البروليتاريا المصرية محرومة من خلود الروح قبل هذه الثورة • وبذلك تكون هذه الثورة ثورة ديمقراطية عظمى ، لانها أنقذت البروليتاريا المصرية من مصير القطط والكلاب عند الموت وسوت بين جميع المواطنين في حق الخلود ، وهذا مانسميه منذ ظهور أديان التوحيد : المساواة أمام الله ، تصوروا : حتى هذا كان بحاجة الى ثورة واعلان حقوق الانسان • وبديهى أنه من ليس له أسرة فلا يمكن أن تكون له قبور أسرة،

وبالتالى لايمكن الصلاة عليه وتقديم الرحمة أو القرابين على روحه ، فمصيره اذن مصير القطط والكلاب • وعندكم حتى الآن ان كل من يخرج من مشرحة القصر العينى ولا تظهر له أسرة يكون مصيره مصير القطط والكلاب ، رغم أن عندكم جمعيات للرفق بالحيوان وجمعيات خيرية للرفق بالبشر • وهذا هو سبب ارتعاد الفقراء عندكم من الموت فى القصر العينى • أظن أن صديقى مالينوفسكى شرح لكم سبب استماتة فقرائكم فى زيارة المقابر رغم انكم لاتكفون عن ترديد انها مكروهة فى الاسلام وغير منصوص عليها فى المسيحية ، انهم فى سنة ٢٠٠٠ ميلادية يحافظون على مكاسب ثورة ٢٠٠٠ ق•م• فاذا كانوا لايصيبون المساواة على الارض فلا أقل من أن يصيبوها فى السماء • طبعا هذه بقايا وثنية بينكم ، ولكنكم لستم وحدكم فى هذا ، فالعالم المسيحى ايضا يرتعد مثلكم من مصير القطط والكلاب ، هل رأيتم الآن فائدة نظام الاسرة ؟

والمرأة المصرية طبعا لم تحصل على حقوقها السياسية الا بعد أن حصلت على حقوقها المدنية ، ولم تحصل على حقوقها المدنية الا بعد أن حصلت على حقوقها الشخصية ، مثلا كانت البنت ترث بالضبط مثل نصيب الولد وكانت المرأة تتصرف فى أملاكها بالضبط كما يتصرف الرجل • عندكم مثلا وثيقة من الاسرة الثالثة توصى فيها سيدة اسمها نبس ــ سمحت بأطيانها لابنائها • وفى قانون العقوبات وقوانين الاحوال الشخصية كانت المرأة مساوية للرجل تماما• كانت عقوبة الخيانة الزوجية هى الاعدام لأى طرف من الاطراف: الزوج أو الزوجة أو العشيق أو العشيقة • عقوبة قاسية طبعا، ولكنها تقوم على المساواة على الاقل ،وفى هذا بعض العزاء للجنس اللطيف ، ويبدو أن المصريين كانوا ينظرون للخيانة الزوجية نظرنا الآن للخيانة الوطنية ويعتبرونها أم الكبائر ، مثلا فى بردية آنى ، حكيم الدولة الحديثة ، يقول آنى عن الزنا : «ان ذلك لجرم عظيم يستحق الاعدام عندما يرتكبه الانسان • ثم يعلم بذلك الملأ (يعنى تعم الفضيحة) ، لان الانسان يسهل عليه بعد ارتكاب تلك الخطيئة أن يرتكب أى ذنب •» وآنى

الحكيم فى مكان آخر من البردية ، يحذر الرجل من شباك المرأة المحرومة : «ان المرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم: انى جميلة ! عندمايكون لديها شهود (يعنى عندماتنفرد بك تبدى محاسنها وتغمز فى اغراء) ، وهى تقف وتلقى الشباك ٠٠ ماأشدها خطيئة تستحق الموت اذا استمع اليها الانسان ٠» وآنى فى الحالين يخاطب الذكور لا الاناث ، فكأن سقوط الرجل مع امرأة متزوجة كانت عقوبته اعدام الرجل ٠ وآنى فى الحقيقة

يخاطب العزاب ، لان برديته موجهة الى شاب أعزب يحضه فيها على الزواج ويشرح قوانين الحياة الزوجية ، فكانت عقوبة الأعزب على الزنا مع محصنة هى الاعدام ، فما بالك بعقوبة الرجل المتزوج ! لابد انهم كانوا يعلقونه من أذنيه ، وعلى العموم نص القانون فى مصر القديمة على أن الزوجة الزانية تفقد حقها فى مؤخر الصداق حين تطلق ، وهذا يدل على أن توقيع عقوبة الاعدام كان لايمارس الا بشروط معينة كالتلبس واصرار المجنى عليه وربما شروط أخرى ٠

وكان الاعدام المفضل عند المصريين القدماء هو بالالقاء الى التماسيح وليس بالقاء الطوب ، واذا أردتم احياء هذه العقوبة الذهبية فيمكنكم ، نظرا لعدم وجود تماسيح فى النيل ، أن تستعيضوا عن ذلك بالقاء الزناة للأسود فى السيرك القومى الذى تنشئه الآن وزارة الثقافة ٠ وادا أردتم طريقة أفعل فى النهش والتمزيق فاحكموا على الزناة بالاقامة ٢٤ ساعة متواصلة فى مسرح الحكيم أو فى كافتيريا سميراميس أو فى قهوة ريش بين الأدباء والفنانين والصحفيين وستكون النتيجة محققة :لن يميز أحد لحمه من عظمه »

أنا شخصيا لاأحب التماسيح ، وأفضل بكثير العقوبة البابلية فى اعدام الزناة ، فهى طريقة رومانتيكية جدا ، وياحبذا لوأخذ بها المشرع الحديث لانها ستجعل موضوع الخيانة الزوجية الموضوع المفضل عند الفنانين التشكيليين وترفع مستوى الروايات التى تكتب حول هذا الموضوع ، فى قوانين حمورابى (نحو ٢٠٠٠ ق٠م٠) ، فى حالة التلبس ، التلبس فقط ، كانت العقوبة هى الاعدام غرقا ، كان يلقى بالمرأة وعشيقها معا مقيدين فى دجلة

أو الفرات ، ليعبرا النهر • فاذا نجوا كان معنى هذا أن الاله حكم بالبراءة • واذا غرقا نزل بهما العقاب المنصوص عليه فى القانون • ولم تكن هناك الا ثغرات قليلة فى هذا القانون! مثلا الابرياء الذين لايجيدون السباحة • وهو لم يحسب أيضا حساب نجاة المرأة مثلا وغرق الرجل أو العكس ، ربما كان المفهوم ضمنا هو ادانة الغريق بالزنا مع مجهول ، يعرفه الاله ولايعرفه الناس ، وفى هذه الحالة تستريح ضمائر البشر والآلهة، ويعود كل الى المدينة ليبحث عن خيانة زوجية جديدة • فلا شك ان هذه كانت تسلية يومية جميلة ، وهى أرقى بكثير من مبارزات العبيد فى الكولسيوم التى كان يتسلى بها الرومان ، ولو أخذتم بها أمكنكم اذاعتها يوميا فى التليفزيون العربى بدلا من مباريات كرة القدم ، وهي لعبة جاءكم بها الاستعمار البريطانى • على الاقل هذه تسلية عربية ، وطبعا فى بابل القديمة كان ينبغى على كل دون جوان وكل خائنة ، اذا أرادا أن يفلتا من الموت ، أن يكونا من أبطال السباحة ، ولا سيما سباحة المسافات الطويلة • أبو هيف مثلا وحنفي محمود ونبيل الشاذلى كانوا يستطيعون أن يفعلوا مابدا لهم فى نينوى أو حتى فى منفيس ثم يخرجوا ألسنتهم للقاضي وللعسس ، فمن عبر المانش أو اونتاريو أو لوجانو سينظر دائما فى ازدراء الى المسافة من ميت رهينة الى البدرشين • المؤكد أن احياء هذا القانون سيشجع الرياضة بينكم ، فاذا لم يقض على الخيانة الزوجية عندكم فهو لاشك سيجعل منكم أبطال العالم فى سباحة المسافات •

المهم انه حتى فى بابل تساوت العقوبة على الزنا ، ولكن للأسف بعد نحو ١٢٠٠ من حمورابى ضاعت الرومانتيكية من بين النهرين أو «نهرينا» كما كانوا يسمونها ، ففى الدولة الاشورية صاروا فى العراق وسوريا يجدعون أنف الزوجة الزانية ويخصون عشيقها ويقطعون آذان الوسطاء فى الخيانات الزوجية • وحيث يرى الدم يطير الخيال •

اما الزوج الخائن فى بابل القديمة فلم يكن نصيبه الاعدام • ومن هذا ترون أن مصر القديمة كانت أقرب لفكرة المساواة من بابل القديمة • غير أن قوانين بابل القديمة كانت أكثر عصرية،

معقوبة الزوج الخائن فيها كانت مدنية لا جنائية . كان عليه أن يدفع لزوجته تعويضا ماليا عن خيانته اذا أرادت ، وهى طريقة عصريه لطيفة يمارسها كثير من الازواج فى أوروبا دون حاجة الى قوانين تنظمها ، وأعتقد انها تمارس أيضا فى مصر الحديثة . فالزوج الاوروبى كلما أراد أن يخون زوجته غمرها بالهدايا : بالمجوهرات ، بالملابس ، بالسيارات ، بالفسح . وكلما زادت الهدايا بعد الزواج كان ذلك علامة سيئة . على كل حال هذا هو المقابل العصرى للتعويض البابلى . أما فى مصر القديمة فالذى كان يأخذ التعويض هو التمساح .. لا الزوجة .

وحتى فى بابل كانت المرأة شريكة للزوج لا أمة له . وقد بلغ من اهتمام حمورابى بحماية الاسرة أن قوانينه فيها ٦٤ مادة لتنظيم الاسرة من ٢٥٢ مادة ، أى ربع قوانين الدولة . طبعا الدولة أيامها لم تكن معقدة كما هى اليوم .. على كل حال حمورابى اعتبر أساس الاسرة هو «الزواج الاول» ، أى ان كل ما بعده فشوش . طبعا التسرى كان جائزا ، ولكن الزوج كان من حقه ان «يتزوج» شرعا للمرة الثانية مع الاحتفاظ بزوجته الاولى فى حالة واحدة فقط ، وهى عقم الزوجة ، وحتى فى هذه الحالة اشترط حمورابى أن تغسل الزوجة الثانية قدمى الزوجة الاولى رمزا لانها زوجة سكوندو ، وكان لايجوز لرجل أن يحتفظ بزوجتين فى وقت واحد الا بموافقة المحكمة .

أما الطلاق لسوء السلوك فكان ممكنا للزوج والزوجة على قدم المساواة على طريقتكم الشفوية اذا لم يكن هناك التزامات مالية ، أما اذا أرادت الزوجة أن تسترد مهرها ، فهى التى كانت تقدم المهر ، وأن يسمح لها بالزواج مرة ثانية ، فكان يتحتم عليها الحصول على موافقة المحكمة . فاذا رمى الزوج على زوجته يمين الطلاق كان مهرها من حقها وتحتم عليه الانفاق على الاطفال . قوانين عصرية أخذنا بها نحن فى بلادنا بعد ٤٠٠٠ سنة ، باستثناء حكاية الطلاق الشفوى هذه . فنحن نفضل التهاتر فى المحاكم لانه مسل للجيران والمعارف وقراء الصحف ، ونقدم مسرحياتنا الزوجية بالمجان للمتفرجين . على كل حال هذا عندنا أفضل من ان يؤلف كل متفرج مسرحية عنا وينسبها لنا ، وهى غالبا

ماتكون مسرحيات رديئة . ثم اننا وجدنا أن العروض الخاصة أمام الحموات والاخوال والأعمام فقط تخلط الشخصيات فتجعل من البطل وغدا ومن الوغد بطلا ، وكثيرا ماتحول التراجيديا الى كوميديا والكوميديا الى تراجيديا .. وأكثر من هذا فهى تضيع الحقوق .

والحقيقة انه لم يرقنى قانون من قوانين حمورابى مثل القانون الذى يبيح للزوج رهن زوجته وأولاده لمدة أقصاها ثلاث سنوات بموافقة المحكمة لضمان الدين . هذا كان حقا قمة العصر الذهبى . ولكن للأسف بعد ألف وخمسمائة سنة من حمورابى فسدت أخلاق البابليين فأطالوا مدة الرهن وتحول رهن الزوجات والاولاد الى نوع متخصص من تجارة الرقيق الابيض والاسمر . ولولا حماقة هؤلاء الاسلاف لامكننى أن أقترض على مدام شمبوليون مبلغا كبيرا من بنك الكريدى ليونيه وأقوم برحلة بحرية جميلة حول العالم قبل أن تدركنى الوفاة ..

والآن ياسيدى الرئيس، والآن ياأصدقائى الاعزاء ، أستودعكم الله لاعود الى قبرى وأكفانى الذهبية وأستأنف أحلامى الذهبية عن بلادكم الذهبية التى قضيت كل عمرى أبحث فى أحوالها الذهبية وتاريخها الذهبى وأفك فى نقوشها الذهبية : لاتقولوا وداعا ، بل قولوا الى اللقاء .

وهكذا تركنا الخواجة شمبوليون فجأة بهذه النغمة الحزينة ، وشيعه صانع الاقنعة بنظرة ساهمة ثم نهض وانصرف ، وقد نسى حتى أن يقول : «رفعت الجلسة» .. فعرفنا أن الجلسة لاتزال مستمرة عن الحضارات القديمة .



أحاديث الذهبية

قال صانع الأقنعة لحاجب الجلسة ، وكان يدلله باسم الشمعدان المنطفيء لكثرة ما أحرق من شموع في حياته :

ــ انظر ياشمعدان من ذا الذي يطرق الباب .

قال الشمعدان المنطفيء في أدب جم :

ــ انه ياسيدي ، الخواجه روسوفتسيف .

صانع الاقنعة : سله لماذا جاء .

الشمعدان المنطفيء : انه يقول انه سمع اسمه يتردد كثيرا في الجلسة الماضية فحسب أنكم بحاجة اليه .

صانع الاقنعة : ولكننا لم ندعه . أطلب منه أن ينصرف .

الشمعدان المنطفيء : انه يصر على الدخول ياسيدى ، ويقول اننا شتمناه ومن حقه أن يدافع عن نفسه ، ثم انه يقول انه لم يحاضر أبدا في العلم منذ أن مات في ١٩٥٠ أو ١٩٥١ ، فاذا رفضتم ادخاله فهو يطالبكم بتعويض لانه كأى أستاذ جامعى عنده شهوة الكلام وأنتم حرمتموه منها . وهو قد تخلى عن تابوته من اجلكم وضيع أكفانه في الطريق الينا .

صانع الاقنعة : أنا لاأرى خطرا من دعوة الخبراء الاجانب الاموات ، روستوفتسيف بشهادة الجميع أكبر حجة في العالم

القديم • هل توافقون على دخوله ؟

اصوات : لامانع • لامانع •

صانع الأقنعة : تفضل يا خواجة رستوف •• مع السلامة يا مسيو شمبوليون • سلم على بونابرت •

روستوفتسيف : في خدمتكم • أي شيء عن مصر القديمة • بابل ، آشور • اليونان • الرومان •

صانع الاقنعة : لا • مصر القديمة فرغنـــا منها • تكلم عن اليونان والرومان •

روستوفتسيف : سيداتي ، سادتي ••

على الزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك : قبل أن يبدأ الخواجة عندي نقطة نظام •

صانع الاقنعة : ماذا تريد ؟

على الزيبق الجوكي :منذ أن نشرت محاضرجلساتنا السابقة وكل الناس تعتقد أني الايديولوجي الفهلوي ، بينمـــا اسمى عندكم هو على الزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك • وهذايسبب لى مضايقات شديدة في كل مكان • أنا أطلب نشر تصحيح في الاهرام • أو تغيير هذا القناع الرديء : الذي صنعه لى المعلم العاشر •

صانع الاقنعة : ما قولك يا معلم يا عاشر •

المعلم العاشر : الناس على حق في هذا الالتباس لان صـفة الايديولوجية الفهلوية أوضح فيه منها في زميله ، ولكن هذا لمجرد انه أكثر منه جلبة لا لأنه أكثر فهلوية • هو مثلايستطيع تنظير اي رغبة أو مصلحة أو سياسة أو موقف أو عمل أوفشل أو نجاح ويربطه بحتمية الحل الاشـــتراكي وبقوانين الجدليـة المجيدة الملتحمة مع الواقع الجزئي المترابط مع الواقع الكلي في اطار من الوعي التاريخي الصاعد ، وكذلك بالتطبيقات المرحلية الفهلوية للاشتراكية العربية المجيدة •

على الزيبق الجوكي : أنا أحتج • هـــذه لغـة ابن سير كوف لا لغتي •

المعلم العاشر : لا • انت مخطيء • لغة ابن سيركوف هي : الاستغلاق الاستبطاني الحاصل من تداخل الذات والموضوع في

مقولات هوسرل وبردابيف الانحرافية اللامتفائلة بمصير الجنس البشرى . وهل تريد المزيد ؟

صانع الاقنعة : كفى ولماذا سميته اذن بعلى الزيبق الجوكى ؟

المعلم العاشر : لانه الوحيد بين كتاب مصر الذى يعرف جوادا اصيلا اذا رأى جوادا أصيلا ثم يحاول ركوبه ، لا مجرد التمتع بالنظر اليه ، وهو الوحيد الذى درب نفسه بنفسه على لعبة السرك التى يركب فيها الجوكى على أربعة جياد فى وقت واحد ويضرب بالانس على ظهورها الاربعة ، وهو يفعل مثل هذا فى السباق ، والجميل فى الموضوع أن كل جواد منها يعرف أن على الزيبق جوكى للجياد الاخرى أيضا ، فيفكر لحظة فى أن يطرحه أيضا ويعضه ويرفسه ، ولكنه لايلبث أن يغمره السرور لهذه اللعبة اللطيفة فيحمله مبتهجا ويلعقه . لهذا سميته بالجوكى . اما الايديولوجية الفهلوية فصفة يشاركه فيها الكثيرون .

صانع الاقنعة : ولماذا على الزيبق ؟

المعلم العاشر : لان على الزيبق هو زعيم جماعة الشطار الظرفاء فى تاريخ الأدب العربى ، وعلى الزيبق الجوكى باتفاق الكل سمباتيك الى أقصى حد . وهو مثل سميه على الزيبق يعرف كيف يخرج من كل مأزق ، أنا شخصيا أستلطفه . ولو كنت جوادا لأعطيته ظهرى ليعتليه . لكنه للأسف لايرى فى الا حمارا كبيرا ، ويستشهد على ذلك بعنادى الشديد ويقول : ياعبيط انت تتصور الكون بالمطلقات على طريقة نيوتن . كل شيء عندك يسير بالقصور الذاتى ، بينما الحقيقة ان كل شيء يسير بالنقائض والاضداد والمراحل الجدلية . فاذا افترضنا أن الحياة سباق . والحياة سباق فعلا ، فالسباق مراحل ، والمهم فى الحياة أن تكون جوادا كريما . فاذا لم تستطع أن تكون جوادا فكن جوكيا على أقل تقدير . والمهم فى الحياة أن يتفاعل كل جوكى مع جواده حتى يقطع به المرحلة . والتفاعل سهل . أسهل مايكون . اعط الجواد قطعة من السكر يتفاعل معك ويقهقه ضاحكا ويجرى بك الى آخر الشوط ، أو الى آخر المرحلة . المهم ان يجرى بك ولو مرحلة واحدة . فكل مرحلة تقطع توضح

الرؤية لانها تقربك من الهدف • أما أنت فلن تدخل سباقاأبدا لانك تصر على البرسيم ، والبرسيم يجعل أذنيك طـويلتين ، ولطول أذنيك لايرى الناس أنك جواد مع أنك بالفعل جواد • واعتقد أن كثرة أكل البرسيم قد أحدثت فيك تغييرا عضـويا فجعلتك لاتصلح لشيء الا حمل الاثقال : مرحلة متوسطة بين البغل والحمار •جرب السكر بدلا من البرسيم وترقب النتيجة • وكنت دائما أجيبه : خل نصائحك لنفسك ، فأنت أخيب جوكى في الوجود برغم كل ماتعطيه من السكر لكل الجياد • أما حكاية الزنبرك فهى مجرد تكرار لنفس المعنى الموجود فى على الزيبق ، تعنى الزوغان وصعوبة الاحتواء • واحدة منهما تكفى • اذا كان قناعى لايعجبه فاصنع له قناعا •

السندباد الجديد : أنتم تضيعون الوقت فى المباتريات • نحن جئنا لنناقش الرجعية والتقدمية • ارجئوا حكاية الأقنعة وتكلموا فيما يفيد •

روستو فتسيف : هل أبدأ ياسيدى الرئيس ؟

صانع الاقنعة : ابدأ • ولكن اياك أن تخرج عن الموضوع ، الموضوع باختصار هو : كيف كانت المرأة فى عصرها الذهبى أيام اليونان والرومان •

روستوفتسيف : هل أتكلم بصراحة ؟

صانع الاقنعة : هل أنت خائف من شيء ؟

روستوفتسيف : نعم • مسز روستوفتسيف لاتزال عـلى قيد الحياة • ستنقطع عن زيارة قبرى اذا تكلمت بصراحة •

صانع الاقنعة : هذا سبب أدعى للصراحة ، لانها لو كانت معك لجعلت حياتك •• أقصد موتك • جحيما ••

روستوفتسيف : هذا كان عصر طين وقطـران وليس عصرا ذهبيا • من ناحية الاخلاق؟ عكس مايتصور تماما المسيو صباغ • تصوروا ان أكثر ملوك اليونان العظمـاء كانوا بقرون • الملك مثيلاوس مثلا استضاف الامير الجميل باريس ابن ملك طروادة فهرب بزوجته هيلانة • لكن هناك شيئا يحيرنا نحن المؤرخين: وهو كيف يقيم اليونان حرب طروادة المهولة لمدة عشر سـنين ليثأروا لشرف مثيلاوس ويموت كل هؤلاء الابطال ، ثم يعود

مثيلاوس بهيلانة ويجلس معهاعلىعرش اسبرطه ويعيش معها في تبات ونبات . وكأن شيئا لم يحدث . طبعا هي بكت له وقالت : لاتؤاخذنى انها الربة افروديت ضحكت على أو على الأصح ـ بلغتهم ـ رمت على شباكا من حديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى أمشي وراء باريس كالنائم نوما مغناطيسيا . ثم أخوه الملك الغازى أجا ممنون . عاد الى وطنه بعد عشر سنوات من الجهاد ليجد زوجته في أحضان أيجست . وقبل أن يفتح فمه ذبحته كالثور في حمام القصر الملكى بالضبط كما فعلت ملكتكم شجرة الدر بزوجها الثانى عز الدين ايبك . والملك شيوس أبو الاثينيين كلهم ماتت زوجته وتزوج من فيدرا فاخذت تطارد ابنه هيبوليت حتي دفعته الى الانتحار ثم انتحرت ، وكانت دائما تردد : انها افروديت . انها آلربة افروديت .. ألقت على شباكا من حديد فجردتنى من الارادة والفضيلة وجعلتنى أمشى وراء هيبوليت كالنائم نوما مغناطيسيا ..وغيرهن وغيرهن . كل النساء الزانيات فى اليونان القديمة كن يمسحن خيانتهن فى ربة الحب افروديت . تماما كما نقول نحن : الشيطان وزنى . الوحيد الذى نجا من هذا المصير هو أوليس زوج بنيلوب . حتى البطل هكتور . لو أن زوجته اندروماك كان عندها ذرة من الفضيلة والشجاعة لانتحرت قبل أن تسبى مع ولدها بعد موته وتنام تحت سقف قاتل زوجها .

ابو الفتوح الصباح : ألم نقل لكم ان كل الفسوق جاءنا من الغرب ؟

اغا طبوزادة : بالغزو الفكرى . من أيام العصر الحجرى الحديث .. الى اليونان .. الى الرومان .. الى الحروب الصليبية .. الى الفرنسيين .. لغاية الفرنسيين . أما الانجليز والامريكان والالمان ، كل الانجلوسكسون فنحن غزوناهم فكريا وهم لهذا ارقى شعوب الغرب بسبب تحالفهم مع الاتراك .

ابو الفتوح الصباح : بالضبط . كل الفساد جاءنا من اوروبا . بتحرير المرأة .

روستوفتسيف : المسيو أبو الفتوخ الصباخ يقول ان كل الفساد جاءكم من أوروبا . أنا لاأعرف شيئا عن أوروبا بعد

سقوط روما فى ٤٧٦ ميلادية. ولكن المشكلة التى يبحثها علماء اوروبا الآن هى : هل انطونيوس هو الذى أغوى لليوباترا أو كليوباترا هى التى أغوت انطونيوس .

أبو الفتوح الصباح : ماذا يهم ؟ الاثنان خواجات .

روستوفتسيف : لا يامسيو صباخ .. كليوباترا عنـــدكم جريجية أما عندنا فهى طبعا مصرية ، هى وعائلتها .. أليس عندكم مثل يقول : من عاشر القوم أربعين يوم ؟ البطالســة عاشروكم ٣٠٠ سنة وصاروا منكم .. مثلا بطليموس الثـانى المعروف بفيلادلفوس (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م.) أراد أن يثبت لكم أنه مثل الفراعنة تماما فتزوج أخته ارســينوى .. حتى كليوبترا تزوجت من أخيها بطليموس ١٣ وكان عمره ٨ سنين .. عندنا ٣٠٠ سنة حاجة عظيمة ، تكفى لظهور واختفاء عشر امبراطوريات ، أما عندكم فحساب الزمن بالقرون لا بالسـنين .. يوم الحكومة بسنة لكن سنة الشعب بيوم .. أنا شخصيا افضل طريقتكم لانى مؤرخ ، والتاريخ يقوى الذاكرة .. كاهن أنوبيس مثلا يعرف كل أسماء الشـــوارع فى منفيس وطيبة ويسكن فى مصر الجديدة لمجرد أن شوارعها اسمها طوتموزيس وسيزوستريس وأمازيس ، وماعليه الا أن يغمض عينه ساعة كل يوم ليتخيل أن الشقة المجاورة له تســـكنها نفتيس بنت رادوبيس وزوجة ردامانتيس .. والمسيو أبو الفتوح الصباخ يسكن بجوار جنينة الحيوانات لان الشوارع فيها اسمها : ابن رضوان الطبيب ، عقبة بن نافع ، قرة بن شريك ، ابن بختيشوع الطبيب .. ويتوهم أنه يعيش فعلا فى الفسطاط ، ولولا هذا لما وجد الشجاعة ليواجه القرن العشرين ...

صانع الاقنعة : ما علاقة هذا الكلام بالمرأة الجريجية ؟

روستوفتسيف : أقصد أن تحرير المرأة كان عندكم لا عند اليونان .. اليونان اهتموا بشىء واحد وهو تحرير الرجل .. أما المرأة اليونانية ، من الملكة الى بائعة الجندوفلى فى مينـــاء بيريه فكانت حالتها أسوأ ما يكون .. تصوروا مثلا أن سيدة عظيمة مثل بنيلوب زوجة البطل أوديسيوس ملك يثاكا يقـول لها ابنها تليماك وهو لايزال دون سن البلوغ : « هيا اذهبى

الى حجرتك واشتغلي بأعمالك : اشتغلي بالنول والمغزل ، ومري وصيفاتك أن يلتفتن لعملهن ، فالكلام من شأن الرجال ، كل الرجال ، ولكنه من شأني أنا قبل الجميع : فالامر أمري في هذه الدار » ٠٠ هكذا قال هوميروس نحو ١٠٠٠ ق٠م٠ «الاوديسا» ١/٣٥٦ ـ ٣٦٠) ٠٠ وبدلا من أن تصفع بنيلوب ولدها تليماك أو تقول : اخرس ياولد ، نراها بالفعل تكف عن الكلام وتلتفت للنول والمغزل ٠ والنول والمغزل أيام زمان كانا كشغل

البرودرى والأوبيسون في القرن التاسع عشر وكلعبة البريدج والهويست والكاناستا في القرن العشرين ٠٠ أظن أن هواية نسائكم المفضلة هي المشكحة في شارع قصر النيل وسليمان باشا قبل الظهر وبعد المغرب ٠٠ على العموم كان مكان المرأة في اليونان القديمة هو البيت ، وكان لا يسمح لها أن تختلط بالرجال الا في أسبرطه ٠٠ أما الشبان

والبنات فكانوا لايرى بعضهم البعض الآخر الا في الاعياد والجنازات والمواكب بوجه عام ، ودائما وسط جماعات وليس على انفراد ٠٠ وفي شعر ثيوقريط (ايديل٢) وصف لكيفية وقوع البنت في غرام دافنيس من بعيد لبعيد في موكب عيد ارتميس ٠٠ وفي أوربيديس أن عدم ملازمة المرأة بيتها يعرضها للقيل والقال (« نساء طروادة » ٦٤٢) ٠ والمشرع ليكورجوس قال (في ليوقراط ٤٠) أن نساء أثينا كن لايجترئن ، على فتح أبواب بيوتهن وقد كان حدثا رواه المشرع أن نساء أثينا اجترأن على فتح أبوابهن بعد هزيمة خيرونا وعودة الجيش المسحوق ليسألن عن الزوج والأب والشقيق ، هل مات أو عاد سالما ، وقد استهجن لوكورجوس هذه الفعلة الشنيعة لأنه ، ظن آنها

لا تليق بهن ولا بمدينتهن » ٠٠ والمبدأ العام في اليونان القديمة كان ان المرأة لاتخرج من بيتها حتى تبلغ السن التي تجعل من يراها يسأل : أم من هذه ؟ لا زوجة من هذه ؟ ولا تخرج الا بصحبة مرافق أو شابيرون ذكر من أهل بيتها يكون موضع ثقة ، وكانت في العادة تتبعها جاريتها ٠٠ طبعا جاريتها هذه كانت أس البلاء لأن الادب اليوناني القديم يصور الجارية دائما

على أنها الرسول بين العشيق والعشيقة ·· نعلم هـذا من ستوبايوس (هيبرود) ·· وفي قوانين صولون في القرن ٦ ق·م· قانون ينص على أن المرأة حين تخرج للجنازات أو لاحتفالات الاعياد « يجوز لها أن تأخذ معها مالايتجاوز ثلاث قطع من الثياب ومالا تزيد قيمته عن أوبول واحد من الطعام والشراب » (والاوبول كان يساوى بنسا ونصف البنس أى أقل من قرش صاغ بالسعر الرسمي ولكن ربما كانت قيمته ريالا بالقوة الشرائية للحقيقة) ·· كذلك نص القانون على أن المرأة لا يجوز لها أن تخرج ليلا الا في عربة يضيئها مصباح ·· وقد ظلت هذه اللوائح معمولا بها الى زمن بلوتارك في القرن الاول فاذا أراد قومندان بوليس الآداب عندكم أن يأخذ بمبدأ الوقاية خير من العلاج فانى أنصحه بقراءة قوانين صولون وليكورجوس واستصدار قانون يحتم اضاءة كشافات داخل كل سيارة تمر ليلا فى شارع الهرم أو فى طريق المعادى ·· كل هذا يدل على وجود أزمة ثقة شديدة بين رجال اليونان القديمة ونسائها ·· وغير معروف اذا كانت القطع الثلاث الواردة فى قوانين صولون معناها ثلاثة غيارات أم مجرد ثلاث قطع من الثياب مثل الكومبينيزون والفستان والشال أو الملاءة اللف ، وهذا التفسير الاخير هو الارجح لأن تحديد المأكولات والمشروبات بما لا يتجاوز ريالا يتضمن أن نساء اليونان كان غير مسموح لهن بحمل الفلوس فى شنط اليد أو فى غير شنط اليد ، والا فالتشريع يكون عبثا لأن الفلوس يمكن أن تشترى تموين شهر أو سنة ·· ويبدو أن الفكرة العامة كانت ارغام النساء تحت وطأة الجوع أن يعدن للنوم فى بيوتهن بدلا من النوم فى القرافة أو فى الحدائق العامة ··

أبو الفتوح الصباح (يتحمس) : أيها الرجعيون ! اهتفوا معي : تحيا ذكرى صولون !

اغا طبوزادة والخشداش ايواظ : تحيا ذكرى صولون !

مجاهد بن الشماخ (فى امتعاض) : ما هذه السذاجة ؟ هذه مؤامرة صليبية ·· تذكروا الروم ! تذكروا بيزنطة !

هؤلاء هم أعداؤنا التقليديون • قولوا معى : فليسقط صولون واهل صولون ••

صانع الاقنعة : النظام •• النظام ••

روستوفتسيف : ماذا فعلت ؟ هل أخطأت ؟ أنا أرد على سؤالكم : هل كانت المرأة اليونانية متحررة أم لا ••

صانع الاقنعة : مجاهد بن الشماخ غاضب لانك صورت المرأة اليونانية فى صورة جميلة : خاضعة تماما لسلطان الرجل ••

روستوفتسيف : نعم •• هى كانت كذلك وكانت النساء تأكل على مائدة مستقلة بعيدا عن الرجال فى الحفلات والمآدب •• أعتقد أن هذا التقليد لا يزال موجودا بينكم فى الريف المصرى •• وقد بلغنى أن كل غلام من الفلاحين عندكم ينهر أمه ويقول لها أف كما كان تليماك ينهر بنيلوب •• ومع ذلك اذا أردتم أن أقلب لكم الحقائق ، فهذا سهل •• نحن العلماء الخواجات مدربون على ذلك •• مثلا عندما تكون هناك أزمة سياسية بيننا وبين المصريين نصدر «أبحاثا » علمية نثبت فيها أن أصل الحضارة كان فى سومر وليس فى مصر •• واذا اختلفنا مع العراق أثبتنا أنه كان فى مصر وليس فى سومر ، واذا اختلفنا مع كل العرب نقلنا أصل الحضارة الى الصين أو الهند بحسب الحالة ••

صانع الاقنعة : لا •• لا •• نحن نريد أن نستنير • استمر يا خواجة ••

روستوفتسيف : على كل حال : استعباد المرأة فى اليونان القديمة يثبت وجهة نظركم •• يثبت أن المرأة الاوروبية منذ فجر التاريخ كانت منحرفة ويجب أن تعامل بالعصا •• مثلا أوربيديس فى مسرحية « اندروماك » البيت ٩٢٥ ينصح الرجال العقلاء أن يمنعوا نساءهم عن استقبال النساء الاخريات لانهن « معلمات لكل الشرور » •• ومن كوميديا ارسطوفانيس « أعياد ثيسمافوريا » (البيت ٤١٤) نعرف أن رجال اليونان كانوا يسجنون نساءهم فى حرملك يسمونه بلغتهم « جونايكونيتيس »، أى « حجرة النساء » ويغلقون الحرملك

بترباس محكم من الخارج ، ولا يكتفون بهذا بل يضعون كلب حراسة مولوسي على عتبة الدار •• لمـــاذا كانوا لا يأتمنـون نساءهم ؟ لانهن كن نساء ملعبات. •• ناقصات عقل ودين •• بالضبط كما تقولون انتم عن نسائكم اذا أردتم اعتقــالهن أو

تحديد اقامتهن •• ومنذ ٨٠٠ ق•م• كان الشـــاعر هسيود يقول لليونان في « الاعمال والايام » (ا بيت٤٧) أن باندورا ، وهي حواء اليونان ، كانت مصدر كل الشرور والاوبئة ، ويندد في البيت ٣٧٣ بالنساء لانهن يمشين بطريقة تحريك الاليتين بالتبادل ، أو ما تسمونه هنا طريقة (هز ياوز) لكي يلخبطن عقول الرجال (راجعوا أيضا الابيات ٣١٩ و ٧٠١ وما يليه) •• حتى بريكليس العظيم رئيس جمهـــورية أثينا في القرن الخامس ق•م• كان يقول : « خير النساء أقلهن ذكرا بالخـــير

والشر في محضر الرجال » •• ورد هـــذا القـول المأثور في ثيوسيديد ٢/٤٥ •• وفي « الشمافوريا » لارســـطوفانيس أيضـــا (البيت ٧٩٧) أن واجب النســـاء المتزوجات هو أن يتوارين داخــل البيت حتى لايراهن المارة في الشـــارع من النوافذ •• ولكن ارسطوفانيس لم يصل طبعا الى حد تحريم النظر من وراء الشيش •• وقد حل أجدادكم في العصر التركي

المملوكي هذه المشكلة باختراع (المشربية) فاذا أردتم احيـاء هذا التقليد فعندنا في أمريكا نوع من الزجاج من وقف وراءه رأى دون أن يرى •• طبعا كانت هناك استثناءات قليلة لهذا الضغط والكرتنة على النساء •• فهيرودوت يذكر نحو ٥٠٠ ق• م• أنه في اقليم ليديا ، حيث أقام يونان الاناضول ، لم يعترض الناس على أن تحصل البنات على ثيابهن بالدعارة (٢٩٣) •• ولا تزال هناك رواسب من هذا التقليد باقية الى اليوم في

المرأة العصرية ، ولكن المرأة العصرية أكثر دردحة من جدتهـا الليدية ، لانها تعلمت كيف تأخذ ولا تعطي وجعلت من السفلقة فنا جميلا •• فبعض بنات اليوم بمجرد غمزة أو ابتسامة أو على أكثر تقدير مجرد قبلة يستكردن الرجل في شنطة يد أو زوج من الاحذية وربما في فستان أو ساعة حريمي وهن في الطريق الى السينما •• كذلك كانت فساتين نســاء اسبرطة مشقوقة

فى الجوانب من تحت حتى الفخذين ، وهى موضة متحررة كانت تثير استهجان كل اليونان ..

والحقيقة أن الحضارة اليونانية كانت العصر الذهبى لا لست البيت ولكن للغانية أو « الهتيرا » كما كانوا يسمونها ، ولشىء آخر أخجل أن أسميه ولكنكم تعرفونه جيدا من شعر أبى نواس .. فأفلاطون فى « القوانين » يقول : « لدينا غوان لمتعتنا ومحظيات لخدمتنا الشخصية اليومية وزوجات ليلدن أطفالنا ويدبرن منازلنا بأمانة » .. وفى قانون ورد ذكره فى ديموستين الخطيب (« فى الارستقراطية » ٥٥) نجد أن النص يشير الى الام والزوجة والاخت والبنت والمحظية فى عبارة واحدة ...

وفى هوميروس نجد أن امتلاك محظية أو أكثر كان أمرا أشيع ما يكون فالمحظية اذن كان لها وضع رسمى .. أما الزوجة المسكينة فقد نصت القوانين والعرف والفلسفة واللاهوت عند اليونان أن مهمتها كانت محصورة فى شىء واحد وهو : « انجاب ذرية شرعية » كما فى لوسيان (« تيمون » ١٧) وكليمنت الاسكندرى (استروماته » ٢ / ٤٢١) وبلوتارك « الموازنة بين ليكورجوس ونوما » ٤) وزينوفون (« المذكرات » ٢/٢/٣) وديموستين (« فورميو » ٣٠) وغيرهم .. وفى كتاب أرسطو عن « الدولة » (١٢٦٠/٨/٢) ان هوميروس ذكر أن الرجل كان يشترى زوجته من والديها بما كان يدفعه من « هدينا » أى هدايا يقدمها للعروس ، وكانت غالبا من الماشية .. ولكننا نعلم أيضا من هوميروس فى « الاوديسا » (٢٧٧/١ و ١٩٦/٢) وفى « الالياذة » (٣٩٥/٦ و ١٤٤/٩ وغير ذلك) ان الزوج بعد أن يتسلم زوجته كانت الزوجة تتلقى من ذويها دوطة لزواجها ، ونعلم من « الاوديسا » ١٣٢/٢ انه فى حالة الانفصال يسترد أبو المرأة الدوطة ، ومن «الاوديسا» ٥٩٥/٤ أن المرأة تفقد حقها فى الدوطة فى حالة الخيانة الزوجية ..

صانع الأقنعة : ولماذا كل هذه الارقام ؟ تكلم كما يتكلم الناس ..

روستوفتسيف : مستحيل .. هكذا نتكلم فى محاضراتنا .. والاستاذ الذى لا يذكر مراجعه يفصل فورا منعا للتلفيق ، والا جلس أى أستاذ فى أقرب بار وبنى حضارة بأكملها على الورق من رغاوى البيرة ..

صانع الاقنعة : استمر وعنعن كما تشاء ..

روستوفتسيف : على العموم حكاية « الذرية الشرعية » هذه كانت الركن الوحيد للزوجية فى اليونان القديمة . وافلاطون هو الوحيد الذى أدخل عليها بعض التحسينات فى «القوانين» (٤/٧٢١ و ٦/٧٧٤) حيث قال ان الزواج هو أداء واجب عام : فواجب المواطن أن يترك وراءه ذرية تعبد الالهة وتخدم الدولة ، وكان أفلاطون يطالب بتطبيق عقوبات على العزاب كالغرامة وفقدان الحقوق المدنية . وفى بلوتارك («ليكورجوس» ١٥) أن عزاب أسبرطة كانوا يفقدون بعض حقوقهم المدنية كالاشتراك فى المباريات ، وكانوا يجمعون فى السوق ويؤمرون بأن يغنوا أغانى يسخرون فيها من أنفسهم .. يعنى كل واحد فيهم يترنم بقوله مثلا : أنا حمار كبير .. وهو أسلوب فى النقد الذاتى أجمل بكثير من أسلوب الروس فى عهد ستالين ومن أسلوب الانجليز فى الكنيسة الميثوديست حيث يقف المذنب أو المذنبة وهو يرتعش وسط جمهور مكفهر الوجوه من المصلين ويعترف بأعلى صوته : أنا قضيت الليلة الماضية فى بيت مسز فلان ، أو أنا سرقت دجاجتين وأوزة من حقل جارى فلان، فليسامحنى الله .. ولكن قوم أسبرطة كانوا قوما غريبى الاطوار أرجو ألا يتشبه بهم أحد فقد كانوا يعشقون كمال الاجسام وصحة الابدان فى سبيل الحرب والرياضة لدرجة أن بلوتارك روى أن الزوج الاسبرطى كان من المألوف أن يعير

زوجته مؤقتا لرجل آخر أقوى منه وأصح بدنا لينجب له أطفالاأصحاء أقوياء وسيمين ، ويشبه بلوتارك الزواج الاسبرطى بتهجين الخيول بهدف تحسين النسل •• وقد أحيا الالمان هذه العادة الاسبرطية الغريبة أيام النازية ، وكان جزءا من واجبات الشباب الهتلرى والشابات الهتلريات أن يقدموا للرايخ الثالث نماذج معتمدة من الجنس الآرى • قامة فالارعة مثل قامة جويبلز وقوام ممشوق مثل قوام جورنج وشعر أسود بلوند مثل شعر هتلر •• وعيون زرقاء وقسوة جرمانية مثل ايرما جرايس التى كانت تصنع الاباجورات من جلد الاسرى ••

صانع الاقنعة : دعنا من موضوع النسل •• هذه مشكلة أخرى سنبحثها عند مناقشة حكاية تحديد النسل •• تكلم عن المرأة فقط ••

روستوفتسيف : أنا فرغت تقريبا •• لم يبق الا أن أقول أنه نظرا لعدم اختلاط الجنسين فقد كان زواج اليونان يتم عن طريق الخاطبة ، ولكن وظيفة الخاطبة كثيرا ما اختلطت بوظيفة أخرى سيئة السمعة •• ولم نسمع احتجاجا على هذا النظام الا فى افلاطون (« القوانين » ٦/ ٧٧١) الذى طالب باختلاط الخطيبين قبل الزواج حتى ينجو الزوجان من الخداع •• من هذا ترون أن الزوجة فى اليونان القديمة كانت حياتها هامشية ومحاطة بجدران كثيفة ، ولكن هذا لم يمنع أن تكون الخيانة الزوجية موضوعا شائعا فى أدب اليونان شيوعه فى حياة اليونان •• ولكن اليونان القديمة كانت فى الوقت نفسه فردوسا للغوانى أو « الهتيرات » اللواتى مجدهن أدب اليونان شعرا ونثرا فى كل العصور وبقى لنا من أسمائهن أكثر مما بقى من أسماء الزوجات •• وكان عصرهن الذهبى فى القرن الرابع ق•م• فاشتهرت منهن فرينا التى كانت موديلا للمثال براكساتيليس فى تماثيله لافروديت ، واشتهرت الغانية لاييس عشيقة المفكر ارستيب وجلوكا ملهمة الكاتب الكوميدى

مناندر وليونتيون عشيقة الفيلسوف ابيقور • وكان لأكثر كبار رجال الدولة غوانشهيرات مثل اسبازيا صاحبةبريكليس وثارجيليا عشيقةملك الفرس أثناء الحروب الفارسية ،وتاييس عشيقة الاسكندر الاكبر ، وكانت غانية أثينية جميلة تنازل عنها الاسكندر لقائدهبطليموس الذى تزوجها وأجلسها معهعلى عرش مصر وأسس بها أسرة البطالسة ، وكانت لها صديقة غانيه اسمها لاميا حكمت آثينا مع عشيقها الجنرال ديمتريوس بوليوركتيس وأقام لها الاثينيون معبدا باسم افروديت لاميا • والاصل فى هؤلاء الغوانى انهن كن مجرد نساء عموميات لهن تسعيرة فى الدولة الاثينية (١ أوبول فى ميناء بيريهوفى حى الفخارين) ، أما اللوكس فكن يصلن الى ٦ أوبول ، وكانت الدولة الاثينية تشرف بدقة على هذه العمليات بسبب الضرائب وانتهت بتأميم الهتيراتفى ميناء بيريهوفى حىالفخارين •وكان جزء لابأس بهمن ايرادات الدولةيحصل بهذه الطريقة الغريبة• ولكن ثبت تاريخيا ان ايرادات الضرائب من القطاع الخاص (اللوكس) كان أكبر من ايراداتها من القطاع العام • المهم أن البنات الهتيراتظهرت بينهن طبقةذكية مثقفة نحو ٣٠٠ق•م• أيام الفيلسوف ابيقور ، فكنينتظمنفى فصول لدراسةالفلسفة ويتجادلن فى الماهية والمقولات والمفهوم والماصدق والاسطقسات ويقال أن ليونتيون صاحبة ابيقور تركت رسالة لابأس بها فى الفلسفة • نوع من الجيشا اليونانية لتسلية العقل والجسد فى وقت واحد • أما الطامحات منهن فوصلن الى ماوصلت اليهمدام دىريكامييه ومدام دىمانتنون ومدام دى مونتسبان ومدام دى بارى ومدام دى بومبادور أيام البوربون فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية • أما البروليتاريات السناكيح منهن فكان أقصىمنى الواحدة أن تصبح محظية لرجل واحد وتترقى الى رتبة «بالاكا» اى «محظية» بدلا من كونها مرفقا عاما ، وكان ذلك يتم مقابل ٢٠ الى ٤٠ قطعة من الفضة ، وكان الرجل يستطيع أن يبيع

محظيته في أي وقت يشاء • نوع من الرقيق الابيض • هذه كانت أحلام الحرية بالنسبة لطبقة الهتيرا الغلبانة . : أقصى مني الواحدة أن تصبح أمة أو جارية ! لقد كان عصرا ذهبيا حقا ، ولكن للرجال فقط •

على الزيبق الجوكي الشهير بالزنبرك : انظروا اليه • انظروا اليه •• أنظروا اليهم • أبو الفتوح الصباح ومجاهد بن الشماخ وأبو سنه دهب لولي وعز الدين أيدمر المحيوى • انهم يتلمظون سيدي الرئيس : امنعهم من التلمظ •

مجاهد بن الشماخ : لاتصدق كلمة واحدة مما يقول • هذه دعاية مبشرين •

ابو سنة دهب لولى : هذا فوق طاقة البشر • لم أعد احتمل •• آنا أطالب بتدريس اليونانيات في كل كليات الجامعة •

صانع الاقنعة : ممنوع التلمظ • •

الماركسية المسخسخة : اذا كان اليونان على هذه الدرجة من الانحطاط ، فلماذا يهوسوننا اذن بالأدب اليوناني والفكر اليوناني والحرية اليونانية والحضارة اليونانية • ولماذا يقولون ان اليونان اخترعوا الحب الافلاطوني • أنا لما كنت بنت ١٧ أحببت ابن الجيران من وراء شيش البلكونة وضبطني أبي أسوى له شعري في الشباك لأردتحيته فضربني علقة سخنة ،وسمعت أخي الكبير يدافع عني ويقول لأبي انه مجــــرد حب أفلاطوني فسكت عني • ولما عرفت أن أفلاطون يوناني أحببت اليونان بسبب أفلاطون • خيبت أملي ياشيخ •

روستوفتسيف : لاتعولي على حكاية الحب الأفلاطوني هذه ياسيدتي ، لانه خاص بالرجال فقط • أصل الحكاية ان أفلاطون كتب كتابا اسمه « الندوة » في صورة محاورات بين جماعة من صفوة المثقفين في اثينا تجرى في بيت الشاعر اجاثون ، وهــو شاعر سيىء السمعة جدا في الكلام عن الرجال ، وعلى لســان باوسانياس يقول أفلاطون انه يحب التفرقة بين الحب المقدس

القائم على الانسجام الروحى والتجاذب الفكرى ، وبين الحب المبتذل القائم على ارضاء الجسد • وعنده أن الحب المقدس لايمكن أن يقوم الا بين الرجل والرجل • أما الحب بين الرجل والمرأة فمن اختصاص الربة افروديت بانديموس ، أى ربة الحب المهيمنة على كل الناس • وأما افروديت أورانيا ، أو ربة الحب السماوية فلا شأن لها بالحب الذى يقوم بين الرجل والمرأة • فحب الرجل للنساء خارج من حيث المبدأ عن نطاق الحب الافلاطونى الذى لايعرف نشوته الا «الاورانيون» ومعناها حرفيا «السماويون» أى أصحاب الحب السماوى أو العشق الالهى • ومنذ ذلك التاريخ أصبح من يقول عن رجل :« هذا أورانى» يسبه ويتهمه بأشياء فظيعة لا أستطيع أن أتفوه بها • وقد كانت الاورانية عند اليونان شائعة كالأكل والشرب ،والغريب انها كانت عندهم لاتتعارض مع البطولة • ففى «الياذة» هوميروس نجد الاورانية بين البطل اخيل والبطل باتروكل وبين البطل باتروكل والبطل بلاتون• وفى أرسطوفانيس،على عهدة أفلاطون فى«الندوة» ،ان الاورانيين هم أقدر الناس على الاشتغال بالسياسة • والمشرع الشهير صولون كان ينظر للاورانية نظرة طبقيسة محض فأجازها فى قوانينه بين المواطنين الاحرار وحرمها بين الاحرار والعبيد وليؤكد هذا المعنى حرم تداول الاموال فى كل علاقة أورانية • والفكرة العامة عند اليونان ، ولاسيما فى أسبرطة ، ان الحب بين الرجال كان أمارة الارستقراطية أو الدم الدورى الازرق ، والدوريون هم سكان بلاد الاغريق قبل نزول اليونان بها • أما الحب المألوف فهو للدهماء وفى مجلس العموم البريطانى الآن تجمع أورانى لاحياء قوانين صولون ، مما يدل على عصريتها المتناهية • ولكن هذا كله لم يمنع ابطال اليونان وملوكهم وأمراءهم ومواطنيهم أن يكونوا عاديين فى علاقاتهم مع النساء فيتزوجوا وينسلوا ويدافعوا عن نسائهم كما فعل منيلاوس فى حرب طروادة ، ولم يمنع اخيل مثلا من أن يغضب ويجازف بمستقبل حرب طروادة لانهم حرموه من الأسيرة بريسينس • اليونانى مجد جمال الرجل بتماثيل هرميز وأبولو بلفدير أكثر

مما مجد جمال المرأةبتماثيل افروديت أو ديموتر • انسى حكاية الحب الافلاطونى ياسيدتى فهى خطأ شائع • حضارة اليونان كانت حضارة الرجل لا حضارة المرأة • والفـرق بين اليونان والعرب هو أن اليونان مجدوا الاورانية بينما العـرب ندددوا بالنواسية •

وهنا شهق أبو سنة دهب لولى شهقة عظيمة وأخذيتمتم : « هذا فوق مستوى البشر • هذا لايطاق » • فالتفتت اليه كل الأنظار مستطلعة • أماصابع الأقنعة فأخذ يهز رأسه مستنكرا وهو يلعن بصوتخفيض • هذا ماجرته عليناالرجعية وترهات

أبو الفتوح الصباح عن العصر الذهبى والمرأة الذهبيـة • أن نستمع الى كل هذا الكلام الفارغ • بلا حياء• بلا حياء •وباسم العلم • ثم التفت الى الخواجه روستوفسيف وقال :

ـانت ياخواجه لم تذكر كلمة واحدة عنحالة المرأةفىروما القديمة •

فأجاب الخواجه روستوفتسيف بقوله :

ـ لاتكن عجولا • كـــل شىء مرهون بأوانه • موعدنا فى الجلسة القادمة •



ختامها مسك

قال صانع الاقنعة : يا اخواني · جاءتني عريضة وقع عليها عشرون عضوا من اعضاء هذا المؤتمر ، يسمون انفسهم «رابطة حماية الالوف من اخطار الايف والاوف ·· التبـابعة للوكالة المركزية لحماية الملايين من اخطار لنين وستالين وكل بلشـفي لعين » · وفي هذه العريضة ان الخواجه روستوفتسيف دسيسة شيوعية على عقائدنا السنية · وانا استنكر هذه الاتهـامات الجزافية · ولكنى برغم هذا ، منعا للشغب ، شـحنت هذا الخواجه في صندوق الى الجبانة التي جاء منها في مكان ما بامريكا الشمالية قبل أن يقدم تقريره عن حالة النساء في روما القديمة · وبناء عليه فعليكم الآن ان تدعوا احـد رجلين : امـا جيبون الانجليزى واما مومسون الالمانى ليصف لنا حالة المرأة فى روما الذهبية وما تيسر من العصور الوسطى ·

مجاهد بن الشماخ : لم نسمع بهذا ولا ذاك · لماذا لاندعو المسعودى أو المقريزى أو ابن عبد الحكم أو ابن تغرى بردى أو ابن أياس ؟

صانع الاقنعة : هؤلاء سندعوهم فى مناسبات اخرى ، ولا سيما حين نتكلم عن الطولونية والاخشيدية والفاطمية والايوبية ·

انا اقترح ان ندعو ادوارد جيبون رغم انه مات منذ مائتي سنة لان جيبون في الواقع واحد من قبيلتنا نحن الادباء . هل من معترض ؟

ولم يعترض معترض ، ولكن لم يبد على احد حماس . فدخل جيبون قاعة الجلسة بمجرد ان قال صـــانع الاقنعة : « ادخل يا جيبون » .

جيبون : انتم تريدون تقريرا عن نساء الرومان ؟

صانع الاقنعة : من أجل هذا دعوناك . وسنعطيك مقابل هذا كالعادة تذكرة طائرة مجانية الى الاقصر لتزور الكرنك ووادى الملوك . واذا انسجمنا من كلامك فرجناك على الســد العــالى وابو سمبل ، اما اذا انشكحنا جدا دعوناك للاقامة اسبوعا كاملا فى لوكاندة عمر الخيام على حســـاب الخواجه طرايان ووزارة الثقافة .

جيبون : اولا يجب ان تعرفوا ان الرومان كانوا على عكس اليونان على خط مستقيم .

صانع الاقنعة : ماذا تقصد بالضبط ؟

جيبون : أولا الرومان كانوا قوما اسوياء جنسيا ، وكانوا يحتقرون الشذوذ أو الاورانية ويسمونها « العادة الجريجية » ثانيا الرومان كانوا كأهل الغــابة ، يعيشـــون بلا فرامل ، وينظرون للجنس نظرهم الى الاكل والشرب . وكانوا يعيشون فى جزع من الجوع الجنسى ويسوون بين الرجال والنســـاء فى الفوضى الجنسية . كانت الحياة الجنسية عندهم تبدأ فى ســن ١٢ بالنسبة للبنات و ١٤ بالنسبة للاولاد . ومن ايام رومولوس مؤسس روما ، حتى ظهور النظام الملكى ، كانوا يعيشون فى شيء شبيه بفردوس القطط والكلاب . ومع ذلك فقــد عرفوا نظام الزواج حتى فى عصر الفطرة . وكانت أقدم صور الزواج عندهم شراء الزوجة من أبيها . ولكن كان فى امكان أى رجل أن يصبح الزوج الشرعى لاى بنت دون موافقة ابيها اذا استطاع

ابقاءها فى بيته سنة كاملة ، بشرط الا تبيت البنت خارج بيته اكثر من ثلاث ليال طوال السنة • فاذا حدث هذا امكن للانسان آن يسترد ابنته ويبيعها لزوج آخر •

المعلم العاشر : ولماذا ثلاث ليال ؟

جيبون : لاتسلنى فأنا لاأعرف • ولكن لاتظن أن الرومان كانوا قوما بلهاء لقد قضوا كل حضارتهم لاعمل لهم الا شن الحروب ومد الطرق ووضع القوانين • وكانت بعض قوانينهم تبدو غريبة ولكنها فى الحقيقة وجيهة • مثلا كان من أسباب الطلاق عندهم أن تقوم المرأة بتزييت أقفال المنزل • والاغلب ان الازواج الرومان كانوا يربطون بين التشحيم والخيانة الزوجية على كل حال الرومان كانوا ينظرون الى النسل البشرى نظرهم الى العجول والبقر والجديان والماعز • فكان الاب « يملك » كل من ينجبهم من بنين وبنات ويتصرف فيهم كما يشاء : بالقتل أو البيع أو المقايضة أو الاستثمار • نحن فى انجلترا نحب أن نقايض على زوجاتنا ، ولكن الجديد عند الرومان انهم كانوا يقايضون على اولادهم • تصوروا ان كلمة رومانتيكية مثل كلمة « الفاميليا » يعنى « الاسرة » كان معناها باللاتينية « الرقيق» أو «الممتلكات » أو شيء قريب من معنى « ما ملكت ايمانكم» • وهذا تجاوز سلطة الاب عند اليونان وفى بابل واشور ومصر القديمة • ولكن كان على الاب قبل أن يتصرف فى بنيه أن يستشير مجلس الاسرة وهو يضم الاقارب والاصدقاء • على أن الاب الرومانى فقد تدريجيا سلطته فى قتل أولاده وانكمشت سلطته على بناته فى الحدود المالية ، فزواج البنت كان مصدر دخل للاب • وبقى للزوج الحق فى قتل زوجته اذا ضبطها متلبسة بالخيانة ، ثم سلب منه هذا الحق فى روما الامبراطورية ، أى منذ يوليوس قيصر فصاعدا ، غالبا لان يوليوس العظيم كان يخشى ان تبقى روما بلا نساء •

وفى الالواح الاثنى عشر (٤٥٧ ـ ٤٤٩ ق • م) وهى اقدم قوانين مدونة معروفة فى روما ، كان القانون يحرم الزواج غير

المتكافىء ، أى الزواج بين أبناء الاشراف وبنات الشعب • وكان من اشـــد الناس ضراوة فى تطبيق هذا القــانون حـــاكم متعجرف اسمه ابيوس كلوديوس ثم سخر منه القدر فجعلـــه يعشق بنتا من بنات الشعب اسمها فرجينا وكانت فرجينا بنت ضابط مخطوبة لتربيون من تربيونات الشعب ، وهو مثل قولكم عضو مجلس الامة • وغضب الاب لشرفه فطعن بنته واجهـــز عليها في الفورم ، وهو سوق روما • وادى هذا الى قيام فتنة فى الجيش فتراجع الاشراف والغوا القـــانون واجـــازوا الزواج المختلط •

وبتقدم المدينة الرومانية فقدت المرأة قيمتها كعاملة أو دابة من دواب الحمل في الحقول ، واصبحت ست بيت ، أى أصبحت عبئا على زوجها • وبهذا تغيرت عادة شراء الزوجات ، واصبحت الزوجة هى التى تدفع المهر للزوج وتشارك فى الانفاق عـــلى البيت • وهذا أعطى الاب الحق فى أن يحتفظ بسلطته على بنته بعد الزواج ، كما ان استقلال المرأة الاقتصادى دعم مركزهـــا ووسع حرياتها الى درجة غير لائقة بمكارم الاخلاق ، فشـــاع التساهل فى الخيانة الزوجية • وعـــلى كل حال فان الزوج الرومانى لم يكن فيه من صفات عطيل شىء كثير ، بل كان رجلا عمليا يقبل الامر الواقع • وكان من الممكن للطرفين فض الزواج اذا استفحل الخلاف • وكان يمكن للمرأة ان تطلب الطلاق عن طريق القاضى لاسباب متعددة منها غياب الزوج مدة طويلة فى الحرب ، وقد انتشر الطلاق فعلا اثناء الحرب البونيـــة الثانية ، وفى النهاية كان يكفى للطلاق مجـــرد طلب الزوج للخـــدمة العسكرية ! وفى روما الامبراطورية استغنى الرومان عن القاضى فى الاحوال الشخصية فاصبح يكفى للطلاق مجرد اعلان شفوى من احد الطرفين • وكان من الممكن ترتيب الامور بطريقة اخرى:

فكان مألوفا ان يتنازل الزوج عن زوجته لصديق من اصدقائه أو من اصدقائها ، مثلا كاتو الاصغر تنازل عن زوجته النبيلة مارسيا لصديقه هورتنسيوس لان هورتنسيوس اراد أن ينجب منها اطفالا • لا شك ان الرومان كانوا يرون هذا افضل من ان

تنجب مارسيا لهورتنسيوس اطفالا وهي لاتزال في عصمة كاتو • كذلك أوكتافيوس قيصر الشهير باوغسطوس ـ عدو انطونيوس وكليوبترا ـ انتقلت اليه زوجته الاخيرة ليفيا بالتنـــازل من زوجها كلوديوس ، وفي روما الجمهورية ـ أى قبل القياصرة ـ كان هذا التنازل لايتم الا برضا الزوجة لمنع بيع الزوجات أو نقل امتيازهن أو اعطاء التوكيلات بحقوق الارتفاق والاستغلال ولكن روما الامبراطورية بدأت تتســاهل في هــذا الشرط الانساني ، فاصبح التنازل عن الزوجة كالتنازل عن عقــار أو موبيليا أو بهيمة •

عميد الصعاليك : يعني مثلا شخص مزنوق في قرشـين • هل كان يمكن أن يتنازل عن زوجته ؟

جيبون : لا • هـذا يكون بيعـا ، والبيع ظـل في روما الامبراطورية امتيازا لصاحب المال وهو الاب ، وانما في اغلب الحالات كان التنازل يتم لاسباغ الصفة القانونية على زنا الزوجة بطـريقة ودية بدلا من قتلهـا بحسب مايبيـح القـانون • وفي العصور المتأخرة حين انتشرت الفروسية ، كان من قواعدها اعتراف الفارس بعشيق زوجته • ولم يكن هذا مظهرا للكرم الروماني ولكن اثباتا لان لزوجته معجبين • منطق غريب طبعاً• فنحن اليوم لانسمي مثل هذا الرجل فارسا بل نسميه بأسم آخر اقل رومانتيكية • فانظروا كيف تقدمت آداب المحدثين على اداب القدماء وعلى العموم فانه لم يعرف عن الرومان ابدا انهم كانوا يقتتلون على النساء ، والمرأة عندهم لم تكن تدخل في قاموس النخوة • على الفلوس نعم • اما على النساء فلا •

مجاهد بن الشماخ : الم نقل لكم ان هذه الشعوب الاوربية منحطة بالفطرة ؟

الفارس المفروس : على العموم من يقرأ «مجنون ليلى» لاحمد شوقي يجد ان العرب في العصر الذهبي عرفت هذه الفروسية الملهبة ، ولو في تقاليد العذريين وبني عامر • قيس مثلا كان يغار من ورد زوج ليلى ويضايقه بالاسئلة الكثيرة عما كان يجري

بينه وبين زوجته بالليل ، مثل قوله :

بحقك هل ضممت اليك ليلى
قبل الصبح أو قبلت فاها ؟
وهل رفت عليك قرون ليلى
رفيف الإقحوانة في نداها ؟

لدرجة ان ورد ذات مرة اجابه معاتبا في رفق :
الزوج لا يسأل هل قبل اهله وكم ؟

نعم لقد قبلتها من رأسها الى القدم .

يعني الزوج يعتذر للعاشق عن قيامه بواجباته الشرعية . بل ويؤكد له ان ليلى لاتزال صاغ سليمة كيوم ان تسلمها :
كانت اطافتي بها كالوثني بالصنم .

صانع الاقنعة : فلنعد الى الرومان .

جيبون : هذه عادة سيئة عندكم .. كل شيء تنسبونه الى العرب أو المصريين . حتى العادات السيئة ، اتركوا شيئا للشعوب الآخرى . العرب لم تبتدع هذه الفروسية المهببة . هذا كان من ابتكار الرومان : ان العاشق أو العشيق كان يغار من الزوج . ويقال ان الشاعر اوفيد هو الذى ابتكر هذه التقليعة في ديوانه « الغراميات » وفي ديوانه « فن الحب » وعنه انتشرت في اوروبا اكثر من الف سنة ، اى طوال العصور الوسطى ، وبالاخص بعد ان امتلأت اوروبا بالفرسان من قوط وفندال وهون وبرابرة نورديين بشعر اشقر وعيون زرقاء وقامة فارعة مثل الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة : تريستان ، وبارسيفال، وسيجفريد ، ولانسيلوت وجالاهاد، ممن كان يحلم بهم هتلر في نوبات الصرع الآرى التي كانت تنتابه . وكانت للشاعر اوفيد نظرية معقولة في العشق نطبقها نحن في الزواج وهو انه لابهجة في الغرام اذا جاء سهلا يسيرا ، اى أن الغرام لايكون غراما الا اذا كان غزوا لقلب امرأة لا يستطيع كل انسان ان ينالها . وكلما شق الغزو زادت اللذة عند سقوط القلعة وزادت نشوة الانتصار . والمرأة التى لاحارس لها تشبه

القلعة المفتوحة او قلعة بغير فرسان • وبالطبع في هذه التقليعة تكون امنع قلعة هي المرأة المتزوجة التي يحرسها زوج غيـــور شديد اليقظة مثل الوولف الالمــــاني أو الوولف الالزاسي ، وأوفيد يقول انه يحب صاحبته كورينا بسبب مناعتهــا وانه يغار كلما تصورها تقبل زوجها ويحذرها من حب زوجهـــا ، بل ويصور فراش الزوجية على انه فراش « الخـيانة » تماما مثل صاحبكم قيس بن الملوح ، مجنون ليلى • والحب عند اوفيد له استراتيجية مثل استراتيجية الحرب • فالمكان الملائم لحصـــار المرأة ليس البيت ولكن الحفلات والمسرح والملاهي العـــــامة • واستراتيجية بلا تكتيك لاتؤدي الى شيء : فلا بد اذن من مرسال او وسيط ، وافضل مرسال أو وسيط هو الوصيفة او الخادمة • ثم ان الشجاعة نصف المعركة • ولكن يجب ان يفهم العاشق ان الهجوم الخاطف خطأ جسيم • فمد اليد أو خطف قبلة يفسد كل الخطط • المهم هو الصبر والتحـــلي باداب الســـلوك التي يسمونها « الكورتوازي » أي سلوك البلاط ، باعتبار ان فينوس ربة الحب ملكة والعاشــــق فارس يخدم في بلاطها • والمظـــهر الطبيعي لهذه الفروسية هو خدمة المحبوبة واظهار الاهتمام بها في كل مناسبة ، ولا سيما في المرض • والرمز الطبيعي لهذا الاهتمام هو الهدايا : من علب البونبون الى باقات الورد ، ولا بأس من خاتم رخيص أو حلق فالصو أو شنطة يد من وقت لآخر • أما فصوص السوليتير فهي تفسد كل علاقة بين العشاق لانها تثير جشع المرأة وتجعلها تنظر الى فارســها على انه منجم ماس أو بلاتين وليس مجرد معجب ولهان • طبعا ديوان « فن الحب » عمل سكاندال في روما القديمة ، لا لانه كان خارجا على الاداب ولكن لانه كان وصفا صادقا للمجتمع الروماني ، فالناس في العادة لا تحب من يضع أمامها مرآة لترى دمامتها الحقيقيــة • وعلى العموم فقد نفي اوفيد فجأة الى آخر اطراف الامبراطورية في توني على البحر الاسود سنة ٨ ميلادية ، نفاه الامبراطور اوغسطوس قيصر دون ابداء اسباب لا بسبب شـــعره ولكن

بســـبب علاقته بحفيدة الامبراطور التى نفيت ايضا فى نفس السنة •

وانتم تقولون بحق ان الناس عــلى دين ملوكهــم • فتاريخ اباطرة الرومان زفت فى قطران • خذوا مثلا يوليوس قيصر الذى فتح الدنيا اذا صدقنا الازجال التى كان يؤلفها جنوده عنه وعن علاقته بالسيد بثينيا كما جاء فى « تاريخ القياصرة » الاثنى عشر » للمؤرخ الرومانى سويتونيوس. فان يوليوس قيصر كان نواسيا من طبقة كومودور • وبعده اوكتافيوس اى اوغيسطوس قيصر ، كان فظيعا جنسيا ، وقد تزوج ثلاث مرات : الاولى من كلوديا التى هجرها ليتزوج من عشيقته سكريبونيا ، وكانت امرأة متزوجة فطلقهامن زوجها وهى حامل قبل الوضع بايام ، ثم طلقها بتهمة الانحلال الخلقى ، ليتزوج من ليفيا التى دخلت عليه بطفلتين منزوجها الاول • وحين دب الملل فى قلبه خشيت ليفيا أن يتخلص منها فكانت تأتيه بالعذارى الصــغيرات جــدا من بنات الفقراء تماما مثل صاحبكم شهريار فى « الف ليلـــة وليلة » وكان العذر الرسمى الذى اعلنه أطباء البلاط ان هذا يجدد الخصوبة فى الامبراطور ، ولكن خصوبة الامبــراطور لم تتجدد وانتهى امره بالتبنى ولن احدثكم عن بنـــات زوجات الامبراطور وبناتهن مثل جوليا وبنتها جوليا فقد طحن مـــع الرجال وساءت سمعتهن لدرجة ان أوغسطوس قيصر نفــاهن وجردهن من الحقوق الملكية • ولكن أوغسطوس حين بلغ الستين تحول الى رسول من رسل الاخلاق فسن مجموعة من القوانين لتشجيع الزواج وحماية الاسرة ، فحرم توريث العزاب الذين فى سن الزواج وأعطى الاولوية للتعيين فى وظائف الدولة لذوى الذرية الكبيرة وضيق فى الميراث على المتزوجين بلا نسل وقيد الطلاق فاشترط لوقوعه وجود سبعة شهود • وجعـــل الدولة تتقاسم مع الزوج المخدوع مؤخر صداق زوجته المطلقة للزنا ، وفرض العقوبات على الازواج الذين يخونون زوجـــاتهم مـــع محظيات • ولكن بعد موت أوغسطوس قيصر لم يلتفت أحـــد

الى قوانينه لان اباطرة الرومان الذين اعقبوه كانوا تشكيلة غريبة من الشواذ والمصابين بالحب الافلاطوني ، مثل الامبراطور فيتليوس الذي قتله جنود فسبازيان لسوء سلوكه، والامبراطور السوري الاصل هليوجابولوس الذي كان يظهر في الحفلات الرسمية في ملابس النساء ويلبس ياقة مرصعة بالجواهر واساور مرصعة بالدر وقد زجج حاجبيه بالقلم الاسود وصبغ خديه بالبودرة والروج وكان يجلس في قصره الى النول وينسج كالنساء ، وقد وزع سلطاته الامبراطورية على عشاقه العديدين وكان احدهم يسمى نفسه زوج الامبراطورة ، وقد قتل الجنود الامبراطور وهو في سن الثامنة عشرة • حتى هادريان المحبوب تشبه باليونان في شيئين : اطلاق اللحية والافلاطونية أو الاورانية • ولكن اغرب ما في الرومان ان اباطرتهم العقلاء كانوا شواذ جنسيا بينما كان أباطرتهم المجانين طبيعيين نسبيا : كاليجولا مثلا الذي عين حصانه قنصلا ، ودومتيان ونيرون وكومودوس طلقوا زوجاتهم بسبب الملل أو سوء السلوك وزهدوا في النساء لان شهوتهم المفضلة كانت شهوة السلطة وشهوة تعذيب البشر •

وافظع من أباطرة روما كانت أمبراطوريتها ، وأشهرهن مسالينا ، الزوجة الثالثة للامبراطور كلوديوس هذه كانت مجنونة بالجنس وحب السلطة معا ، وكانت معرفتها امتحانا عسيرا للرجال لانها كانت ترسل الى الجلاد عشاقها الخائبين • وفي مرة آعدمت رجلا آخر لانها طمعت في بستانه • وكانت تعدم اشراف روما بالجملة لتنفرد بالسلطان ، فلما استتب لها الامر بدأت «ترمرم» ففي مرة أعجبت باحد الممثلين فأمرت باحضاره الى جناحها الخاص ، ثم قفزت القفزة الكبرى التي خلدت اسمها في تاريخ الامبراطورية فخصصت لنفسها حجرة في بيت من بيوت الدعارة وعلقت يافطة باسمها الحركي أو اسمها في المهنة وهو ليسيسكا ، بحسب الاصول المتبعة في روما القديمة •وكانت روما كلها تتحدث بذلك وزوجها الامبراطور كلوديوس لايحرك

ساكنا ، ولكنه أعدمها أخيرا حين حاولت أن تخلعه لتجلس على عرشه عشيقها الشاب جايوس سيليوس . ثم تزوج كلوديوس من اجربينا أخت الامبراطور كاليجولا التى كانت بينها وبين أخيها علاقة محرمة ثم نفاها . فلما أصبحت اجربينا سيدة روما أخذت تقتل من حولها من نساء البلاط الجميلات أو تنفيهن غيرة من جمالهن . ونجحت فى أن تحمل كلوديوس على أن يحرم ابنه من وراثة العرش لحساب نيرون وهو ابنها من زوج سابق ، ولما لم يمت كلوديوس فى سن معقولة دست له السم ، ثم حاولت أن تسيطر على ابنها نيرون كما سيطرت على زوجها كلوديوس فاغتالها نيرون . ولكن بوبايا سابينا ، زوجة نيرون الثانية نجحت فيما فشلت فيه اجربينا ، وكانت بوبايا من أصل شعبى ومتزوجة من قائد الحرس البريتورى فطلقها نيرون وزوجها من صديقة أوتو بقصد أن يعيش الثلاثة فى تبات ونبات . ولكن أوتو رفض هذا التبات والنبات فأبعده نيرون من بوبايا وجعلها نسميها الآن البرتغال . ثم تزوج نيرون من بوبايا وجعلها امبراطورة روما فوضعت فى أنفه خطاما . وحين أنجبت له بوبايا بنتا رقاها الى لقب «أوغسطا» أى «المعظمة» ولما ماتت أعلن انها أصبحت الهه وبنى لها معبدا تقدم فيه القرابين والصلوات للربة بوبايا اوغسطا ! وكانت آخر حلقة كبيرة فى هذه السلسلة الذهبية من الملكات الفاجرات الامبراطورة ثيودوزا (٥٢٧ـ٥٤٨) ميلادية زوجة جوستنيان العظيم أبو القوانين «المدونة» الخطيرة التى ترجمها الى العربية فقيه عندكم اسمه عبد العزيز فهمى (باشا) . وقد كانت تيودورا فى الاصل بغيا شهيرة فى القسطنطينية ، وكانت وهي دون العاشرة تظهر على المسرح مع اختيها كوميتو وانستازيا وتخلع ثيابها قطعة قطعة للاغراء على طريقة الكباريهات المعروفة باسم « استريب تيز » . ثم احترفت البغاء فى القسطنطينية على أرخص مستوى وعلى أغلى مستوى : من الجندى الى الجنرال ومن الجزمجى الى شهبندر التجار

ثم عشقها والى بنتابوليس واصطحبها معه الى مقر عمله فى افريقيا • ولكنه لم يلبث أن طردها فتصعلكت فى الاسكندرية ورأت أياما من الضنك الفظيع ، وطافت تحترف البغاء فى كل مدن الشرق القديم • أما كيف أصبحت تيودورا أمبراطورة بيزنطية، فيقال انها في سنى ضنكها رأت رؤيا أو حلما بأنها ستكون زوجه ملك عظيم • عجيبة هذه حكاية الرؤى التى تراها النساء دائما فتغير مجرى الحياة • نحن فى القرن الثامن عشر عصر العقل نرفض تصديق هذه الأشياء ، أما أنتم في القرن العشرين فعندكم علم اسمه السيكولوجيا يبحث فى هذه الظواهر • على العموم النتيجة كانت أن تيودورا عادت من بافلاجونيا الى القسطنطينية متأهبة للعظمة الموعودة وفى القسطنطينية مثلت فنون المرأة المحترمة ، أو «تابت» كما تقولون في لغتكم، واشتغلت بغزل الصوف لتكسب قوتها • وعشقها جوستنيان بجنون ، وكان يحكم بيزنطة فعليا باسم عمه ، ولما عارضت الامبراطورة في زواجه من تيودورا أنتظر حتى ماتت وألغى القانون الذى يحرم زواج الممثلات من الاشراف وتزوج من تيودورا وتوجها وجعل رجال الدولة يقسمون لها يمين الولاء فجعلها بذلك شريكته فى الحكم وكانت متغطرسة قاسية جشعة ينتظر صدور الدولة فى حجرة انتظارها ساعات طويلة ثم يؤذن لهم فى الدخول فيقبلوا قدميها • وكانت تخرج فيخرج فى موكبها ٤٠٠٠ تابع وعلى رأسهم وزير الداخلية (الوالى البريتورى) ووزير الخزانة • أما جناحها الخاص فكان مليئا بالخصيان والوصيفات الداعرات • ونشرت جواسيسها فى كل مكان ، وكانت تسجن من يعارضها في أقباء مظلمة كدهاليز اللابرانت تحت قصرها وتأمر أن يعذبوا فى حضرتها ، فيموت منهم من يموت أما من ينجو فكان يفقد بعض أعضائه ليكون عبرة لمن يعتبر ، وهى تقاليد نافعة فى فن الحكم حافظت عليها بيزنطة أكثر من ١٤٠٠ سنة حتى حكم السلطان عبد الحميد • وكانت تيودورا متدينة الى حد الهوس فبنت ديرا فى الضفة الشرقية من البوسفور جمعت فيه ٥٠٠

من بغايا القسطنطينية وحبستهن مدى الحياة ، ومنهن من يئسن من الحياة فألقين أنفسهن فى مياه البوسفور • وقد كتب زوجها الامبراطور جوستنيان انه استوحى كل قوانينه من زوجته الملهمة من السماء •

هذا هو العصر الذهبى للمرأة الرومانية : بدأ بشراء الزوجات وانتهى بتأليه البغايا والتثليث الجنسى باسم الفروسية • أما اذا أردتم تاريخ المرأة الذهبية طوال ألف سنة من العصور الوسطى الأوروبية ، فعندكم رجل يدعى ستيفن رنسيمان ، أستاذ باكسفورد وأخصائى عصور مظلمة ، يستطيع أن يحدثكم عن غرام تريستان وايزولدا وباولو وفرنشيسكا وابيلار وهلويزا وبترارك ولورا ودانتى وبياتريس (عمرها ٩ سنوات) وعن أحزمه العفة ذات الاقفال التى كان السير جودفرى وفرسان الحروب الصليبية يغلقونها حول خصور زوجاتهم قبل الرحيل الى الاراضى المقدسة ، وعما كان البابا اسكندر السادس يفعله مع أخته وبقية السيرة العاطرة لآل بورجيا ومديتشى وتشنشى

وفيسكونتى • وربما وجدتم نوادر ذهبية كثيرة عن بنات افروديت الذهبية فى الكتاب الذهبى عن «تاريخ البابوات» للمؤرخ فرايهر •

صانع الأقنعة : شيء مقرف • شيء مقرف • لانريد مزيدا • أنتم مقرفون ياحضرات الخبراء الاجانب •

جينون : الحقيقة دائما مقرفة ياحضرات الأدباء المصريين • نحن فى أوروبا نعرف ذلك • ولهذا نواجهها بشجاعة فنثبت أقدامنا على الارض حتى حين نحلق فى السماء السابعة • ولهذا

اعترفنا بحقوق المرأة وبحرياتها وساويناها بالرجل من يوم أن ساوينا الرجل بالرجل فى الثورة المجنونة التى تسمونها الثورة الفرنسية • أما أنتم فلكثرة غرامكم بالشعر تعيشون بين السحب

وترصعون هاماتكم بالنجوم وتلتحفون بالمجرة لتهنأوا بالنوم، وتحلمون بعصر ذهبى لا وجود له وتتوهمون أن الاجداد كلهم فضائل والأحفاد كلهم رذائل • نحن أيضا كنا نفكر مثلكم حتى

اكتشفنا أن العالم يتقدم ولا ينحط ، وعرفنا أن التقدمية وهي النظر الى الأمام خير من الرجعية وهي النظر الى الوراء • وكان ينقصنا الاثبات حتى جاء ولد لنا اسمه داروين وأثبت لنا أن الانسان كان منحطا ثم ارتقى ولم يكن راقيا ثم انحط ،وخلصنا من فكرة الخطيئة الاولى التي لازمتنا منذ أن نظم الشاعر فرجيل رؤيا العصر الذهبي قبيل عام واحد ميلادية حتى ١٨٥٩ ، عام ظهور كتاب « أصل الأنواع » •

صانع الأقنعة : الآن وقد استنار المؤتمر بتقارير الخبراء عن المرأة الذهبية في العصر الذهبي عند العرب وفي مصر القديمة وفي بابل وآشور وفي اليونان القديمة وفي روما القديمة ،لم يبق الا أن نأخذ الأصوات على هذا السؤال : هل المرأة اليوم أحط منها في العصر الذهبي أو في مستواها أو أرقى منها ؟

ابن سيركوف : سيدى الرئيس • قبل أن نأخذ الأصوات بلغني أن الدكتور خطة أرسل لسيادتكم تقريرا برأيه في هذا الموضوع • وأنا أطالب بقراءته على الاعضاء •

صانع الاقنعة : هذا صحيح ولكني استبعدت هذا التقرير لان الدكتور خطة ليس أديبا ولا فنانا ، بل أستاذ في الاقتصاد ••

ابن ماركوف : نريد التقرير •

على الزيبق الجوكى : يجب أن تتفاعل الفنون والآداب مع الاقتصاد •

الايديولوجى الفهلوى : حتمية الحل الاشتراكى تحتم هذا •

صانع الأقنعة : لابأس • لابأس •

ثم أخرج صانع الأقنعة من ملف أمامه ورقة تلاها على الحاضرين • قالت الورقة :

« سيدى رئيس مؤتمر الادباء والفنانين :

« تحياتى • أنتم رجال الادب والفن تعشقون الكلمات ، ولا

سيما الكلمات السحرية ، مثل حقوق الانسان وتحرير المرأة لانكم مثل قبائل الأشانتي والشولوك والدنكا لاتزالون تعيشون فى عصر السحر ، حيث الكلمة مساوية للفعل • أنتم تثبتون كل شيء بالاشعار • مثلا اذا أردتم تعليم البنات قلتم «الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعبا طيب الاعراق» • واذا أردتم أن تجعلوا المرأة مجرد غانية فى الحريم قلتم : «كتب الحرب والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول» • واذا أردتم اغلاق مدارس البنات وحصر نشاط المرأة فى الطبخ ومسح البلاط وشغل الابرة ، قلتم مع المعرى :

علموهن الغزل والردن
وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والاخلا
ص تغنى عن يونس وبراءه

واذا أردتم تجنيد النساء فى الخدمة العسكرية أو ادخالهن الحرس الوطنى تذكرتم أن اليونان كانت فيها نساء محاربات اسمهن الامازونات • واذا أردتم أن تثبتوا أن المرأة يمكن أن تحكم مثل الرجل قلتم : انظروا الى حتشبسوت أو الملكة اليزابيث أو الامبراطورة كاترين • واذا أردتم أن تثبتوا أن المرأة لاتقل تدينا عن الرجل تذكرتم رابعة العدوية وسانت تيريزا ، وهكذا •
اما نحن ، رجال التنمية ، فنسمع كل هذا الكلام ونضحك من سذاجة الادباء • نحن لانقول ان قاسم أمين حرر المرأة المصرية ، ولكننا ننظر الى أربعة رسومات بيانية نطلبها من اللواء جمال عسكر مدير ادارة التعبئة : (١) رسم بيانى بنسبة العمالة بين النساء الى العمالة بين الرجال مع بيان بأنواع الاعمال التى يزاولها الرجال والنساء • (٢) رسم بيانى بنسبة أجور النساء الى أجور الرجال (٣) رسم بيانى بنسبة توزيع الملكية بين الرجال والنساء (٤) رسم بيانى بنسبة التعليم بين الرجال والنساء مع بيان نوع التعليم ودرجته • واذا أردنا أن نعرف حالة المرأة فى عهد

رمسيس الثاني أو البطالسة أو المماليك طالبنا أولا باعدادهذه الكشوفات قبل أن نقرر اذا كان العصرذهبيا أم فضيا أم نحاسيا أم حديديا . وبعد دراسة هذه الجداول نحكم آن كانت المرأة المصرية متحررة فعلا أم نصف متحررة أم متحررة فى الظاهر فقط أم ميئوس من تحريرها ، واذا بقى لدينا وقت بعد هـذا نظرنا فى هذه الاعتبارات المعنوية التى يتحدثون عنها كأثر الثقافة أو الفلسفة الاجتماعية والحضارية والفكرية والروحية فى تحديد وضع الانثى بالنسبة للذكر سواء فى الاسرة أو فى المجتمع .

« نحن نعرف مثلا من خريطة العالم الاقتصـادية ان المـرأة الروسية والمرأة التشيكوسلوفاكية أكثر تحررا وأكثرمساواة بالرجل وبالتالى أقل ذهبية من المرأة الانجليزية أو الفرنسية، لسبب بسيط وهو أن نسبة عمالة النساء الى الرجال فى الاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا هى ٢:١ أى امرأة تعمل مقابل كل رجلين يعملان . وقد كانت نسبة عمالة النساء فى روسيا القيصرية ، قبل ثورة ١٩١٧ ، فى المتوسط ١:١٠ ،وهذه الثورة الحقيقية فى انتاجية المرأة الروسية هى التى أدت الى تدعيم حريتها ومساواتها بالرجل ، وليس بيانات تشايكوفسكى . ومايكوفسكى وتوجان بارانوفسكى . والمـرأة الانجليزية لم تتحرر نسبيا الا بعد الحرب العالمية الاولى . فعندما كتب الحرب والقتال على الذكور الانجليز فى الفلاندرز وغيرها لم تجلس المرأة الانجليزية على عجزها أو تكتفى بجر الذيول ، بل لبست الاوفرول ودخلت المصنع وساقت الكاميون أو التاكسى أو الجرار ووزعت البريد وخرمت التذاكر . كانت نسبة عمالة النساء فى انجلترا قبل ١٩١٤ نحو ١٥٪ من مجموع القوة العاملة ، أى ١ : ٧ تقريبا . وكانت اول ثمرة لازدياد العمالة بين النسـاء حصـول المرأة الانجليزية على حقوقها السـياسية جزئيا فى ١٩١٨ ، فنـالت حق الانتخـاب لمن يبلـغ سن الثلاثين ، وفى ١٩٢٨ ، طبعا بسبب ازدياد عمالة النساء ، لمن يلغن سن ٢١ .

والان ، ماهو الموقف فى بريطانيا ؟ ارتفعت النسبة الى ٣:١، ففى المملكة المتحدة ٢٠ مليون وظيفة تشغل النساء منها نحو ٥ ملايين ويشغل الرجال ١٥ مليونا • وهذا الاستقلال الاقتصادى النسبى هو الدعامة الاساسية للمساواة بين الجنسين • ولكنها طبعا مساواة غير كاملة ، رغم ان بريطانيا تحكمها امرأة ، لسبب بسيط ، وهو أن متوسط أجر العامل فى بريطانيا ١٤ ج ك فى الاسبوع بينما متوسط دخل العاملة ٧ ج ك فى الاسبوع (لاتسألونى لماذا يسمون الجنيه الاسترلينى ج ك وليس ج س)

وليس معنى هذا أن المهندس أو الطبيب أو المدرس أو العامل البريطانى بالضرورة يتقاضى ضعف ماتتقاضاه المهندسة أو الطبيبة أو المدرسة أو العاملة البريطانية اذا قامت بنفس العمل، ولكن فى حساب المتوسطات نخلط دخل الزبال ودخل المدير العام ونقسم على ٢ • وسبب انخفاض دخل النساء العاملات هو ان اكثرهن يشغلن الوظائف الدنيا كأعمال السكرتارية والبيع فى المحلات التجارية والخدمة فى المطاعم والبارات والبيوت والفنادق والمحلات العامة • نفس المشكلة قائمة بالنسبة للمرأة الامريكية • ففى الولات المتحدة نحو ٧٠ مليون وظيفة منها نحو ١٤ مليونا تشغلها النساء و٥٦ مليونا يشغلها الرجال ، اى بنسبة ٤:١ ، وهو أقل من بريطانيا ومجموع أجور النساء فى امريكا يتراوح بين ٥٠ ٪ و ٦٠٪ من مجموع اجور الرجال • وقد حصلت المرأة الامريكية على حق الانتخاب فى ١٩٢٠ ومع ذلك فالمرأة الامريكية تركب الرجل الامريكى لأن نساء أمريكا يملكن بحسب آخر احصاء ٨٠٪ من قيمة الاموال المستثمرة فى أوراق مالية • أو بعبارة أخرى الذكور فى أمريكا بروليتاريا تشتغل لحساب الأناث فى أمريكا • وهذا يريكم ضرورة الرجوع الى الرسم البيانى بتوزيع الملكية فى المجتمع كلما أردتم أن تتكلموا عن تحرير المرأة • اما المرأة الفرنسية فلم تحصل على حق الانتخاب الا فى ١٩٤٦ ، وهى متخلفة فى المساواة بالرجل رغم الاسطورة الشائعة فى العالم عن تحرر المرأة

الفرنسية ، وهى اسطورة خلقها عشاق باريس ولم يدركوا ان للاستهلاك الخارجي • ونسبة العاملات الى العاملين فى فرنسا باريس صممت لتكون عاصمة أوربا ، أو على الاصح صممت هى ١ : ٦ ، ولكن هذه القياسات طبعا غير دقيقة لان فرنسا لاتزال في صميمها بلدا زراعيا ، والاحصاءات فى الريف عادة غير دقيقة لان تعاون المرأة فىالانتاج الزراعى والحيوانى وفى الصناعات المنزلية الخاصة بالاسرة أمر يصعب حصره • اما فى مصر فليست هناك احصاءات واضحة لحالة العمالة بين النساء والرجال بسبب غلبة الاقتصاد الريفى • وانما المعروف ان مجموع القوة العاملة (بين سن ١٥ وسن ٦٠) يتراوح بين ٦ و ٧ ملايين • ويظن ان نسبة عمالة النساء الى الرجال عندنا ١ : ٦ ، أى نسبة قريبة جدا من فرنسا ، فاذا كان الامر كذلك فلا بد أن تكون نسبة أجور النساء الى أجور الرجال ونسبة توزيع الملكية نسبة مزرية جدا بحيث تفسر انعدام المساواة بين النساء والرجال رغم مايقوله الميثاق فى هذا الموضوع ، بدليل عجز المرأة المصرية حتى الآن عن اصلاح قوانين الاحوال الشخصية مثلا • والمرأة المصرية الى الآن تعتبر أن بطنها هى مصدر رزقها الاساسى • فوسيلتها الاولى فى ضمان قوتها اليومى هى تكبيل زوجها بعشرة اطفال حتى يعجز عن التخلى عنها ، أو لتضمن لنفسها اعانة بطالة أو اعانة شيخوخة فى حالة الرفت بالطلاق • وهذا مايجعل كل خططنا لتحديد النسل هباء فى هباء ما لم تعدل قوانين الاحوال الشخصية بحيث تمنع فصل الزوجات فصلا تعسفيا أسوة بعمال المصانع وتطبق عليهن قوانين التامينات الاجتماعية • ويوم ان نعترف ببطن المرأة كأداة من أدوات الانتاج الحيوانى ونخضعها لقوانين التأمينات الاجتماعية يمكننا أن نواجه مشكلة الانفجار السكانى مواجهة علمية لا مواجهة شعرية ، ويمكن أن نحقق ماجاء من بنود عن المرأة فى « ميثاق العمل الوطنى » •

وتفضلوا ياسيدى الرئيس بقبول وافر احترامى •

(توقيع)

(د • عبد الحافظ خطة)

ابن سيركوف : تحيا الاقتصاد ولوجيا ·

ابن ماركوف : تحيا عمالة المرأة · يحيا الاقتصاد محـــرك التاريخ ·

الماركسية المسخسخة : تسقط الاغلال الذهبية · يســقط القفص الذهبى ·

خولة المايسطرية : لا · لا · هذه شيوعية · انا شخصــيا احب الاغلال الذهبية لاني احب الخلاخيل الذهبية والاســـورة الذهبية والخواتم الذهبية والحلقان الذهبية والعقود الذهبية ، وكل الاشياء المستديرة مادامت ذهبية ·

شجرة اللولى : طبعا هذه شيوعية ، ونحن اعداء الشيوعية، مادام الرجال يحبون الاقفاص الذهبية فلا بد من اقفاص ذهبية

ولكن المهم ان تكون قضبانها سميكة عيار ٢٤ وواسعة بحيث يخرج العصفور ويدخل كما يشاء · المهم أن يرى الرجل المرأة داخل القفص الذهبى ، أو على الاقل أن يتوهم انه يراها ·وما

دامت القضبان واسعة فليس يهم بتاتا أن أكون داخل القفص أو خارج القفص · ومن أحاديث جدتى عرفت أن المشكلة الحقيقية

هى تزيين فكرة القفص الذهبى فى عين الرجل حتى ينفق عليه كل ماله ويجمد ثروته فى قضبانه الذهبيـــة : عندئذ يصـــبح الرجل ، لا المرأة ، هو أسير القفص كما تتفرج النمرة فى جنينة

الحيوانات على الاطفال من وراء القضبان · أنا شخصيا اكتشفت ان اللولى أغلى من الذهب ، وقفصى كله من اللولى ·· ياحللولى·

صانع الاقنعة : كفى نقاشا · لقد استمعنا لأهم الاراء· والآن السؤال هو ، للمرة الثانية ،هل المرأة اليوم أحط منها فى العصر الذهبى أو فى مستواها أو أرقى منها !·

المعلم العاشر : انا معترض على طرح القضية على هذا الوجه·

صانع الاقنعة : على أى وجه تحب أن تطرحها ؟ ·

على الزيبق الجوكى : لقد أثبت كل الخـــبراء بالاســـانيد

التاريخية والحسابية والثقافية والاقتصادية ان العصر الذهبى خرافة رجعية ابتكرهاتحالف الاقطاع ورأس المال مع الاستعمار لابقاء الشعوب المتخلفة فى تخلفها • فليكن السؤال : هل هناك عصر ذهبى أو لا •

صانع الاقنعة : موافق • السؤال المطروح امامكم هو : هل هناك عصر ذهبى أو لا ؟

الموافقون يقولون : احم ! احم ! والمعارضون يقولون مثل الكشافة : يعيش ! •

وهنا دوت القاعة بهتاف يصم الاذان يقول : يعيش ! يعيش يعيش • ولم يسمع الا خمس أو ست احمات • وكان الهتاف قاطعا فلم يجرؤ احد ان يطالب بعد الاحمات •

صانع الاقنعة : نفهم من هذا أن ادباء مصر فى عهد الثـورة يرفضون فكرة العصر الذهبى ويعدونها خرافة رجعية ، ننتقل الى القضية الثانية وهى : ان نساء الامس كن افضل من نساء اليوم •

الايديولوجى الفهلوى : ماذا تقصد بأفضل ؟ •

صانع الاقنعة : اقصد محصنات اكثر • يعنى بالبلـــدى : اكثر عفة •

مجاهد بن الشماخ : على وجه اليقين • على وجه اليقين •

المعلم العاشر : بعد كل ماقيل عن بلاج جلجل وحبال الفرزدق وتنكرات ابن أبى ربيعة وأورانية اليـونان وماخور مســالينا واستريبتيز الامبراطورة ثيودورا ؟

صانع الاقنعة : خذوا الاصوات بنفس الطريقة • الموافقون يقولون : احم ! • والمعارضون يقولون : يعيش :

وللمرة الثانية ارتفع دوى هائل يقول : يعيش ! يعيش ! يعيش • وغرقت الاحمات فى هدير اليعيشات • ولكن الذى لفت النظر ان اصوات الاحمات كانت دائما يتخللها رنين اصوات

النساء من أديبات مصر ، فقد كن أشد من الرجال حماسة للعصر الذهبي .

صانع الاقنعة : اذن فادباء مصر في عهد الثورة يرون ان نساء الامس لم يكن اكثر عفة من نساء اليوم .

على الزيبق الجوكي : هذا غير كاف . أنا أطلب التصويت على القضية الآتية : ان نساء الأمس كن «أقل» عفة من نساء اليوم .

صانع الاقنعة : ربما كان هذا صحيحا ، ولكن لا داعي للاستفزاز ياعلى الزيبق . يكفى اننا انقذنا سمعة المرأة المصرية في القرن العشرين . ثم لاتنس ان نساء الامس هن جداتنا كما ان نساء اليوم هن زوجاتنا . ونقص عفة جداتنا يصيبنا نحن في مقتل . ويكفى اننا بشهادة المؤرخين وعلماء الانثروبولوجيا والاثنولوجيا اكتشفنا حقيقة خطيرة وهى أنه في جميع حضارات العالم القديم ، كانت المرأة المصرية أولا ثم المرأة العربية ثانيا تتمتع بحقوق الانسان (الحرية . المساواة . الاخاء) وبحقوق الحيوان (المأكل . الملبس . المسكن . الفراش) أكثر من المرأة في بابل واشور واليونان القديمة وروما . وليكن هذا اجمل ختام لاجمل جلسات جلستموها امتزجت فيها المتعة بالفائدة . واسمحوا لى ايها السادة ان ارفع الجلسة وافض هذه الدورة الاولى لهذا المؤتمر الاول لادباء مصر وفنانيها . وسأحدد لكم موعد الدورة الثانية ، ولكنها لن تكون قبل شهور طويلة . واقترح أن يكون جدول الاعمال في الدورة القادمة هو « نظم الحكم بين القديم والجديد » الا اذا جاءتنى اعتراضات كافية من الاعضاء . والى أن يحين الحين : أرفع الجلسة وأعلن انتهاء الدورة الاولى للمؤتمر . وفقكم الله لما فيه نصر الفنون والاداب والعلوم الانسانية . وشكرا .

وهنا دوت القاعة بالتصفيق . وانصرف الحاضرون زرافات ووحدانا بعضهم يصهلل وبعضهم يجمجم وبعضهم يحمحم . ولكن كثرتهم الغالبة انصرفت وهى تبتسم في طمأنينة المراهق الذى اكتشف فجأة أن شاربه قد اخضر بحيث يستطيع أن يعبث فيه ويزهو به . وتذرقوا بين فترينات شارعى سليمان

باشا وقصر النيل ، كل يبحث عن هدية لزوجته تنفيذا لقرارات المؤتمر الذى برأ نساء مصر من ذلة الاماء ومن خلاعة القيـان : علبة بانكيك أو قلم احمر شفايف أو زجاجة بارفان ، بعد أن تأكدوا من أن رجال العرب فى العصر الذهبى كانوا يهـــدون لزوجاتهم ادوات الزينة ، حتى عز الدين ايدمر المحيـــوى

والخشداش ايواظ وأغاطبوزادة وأبو سنة ذهب لولى دخـلوا جماعة الى دكان هانو واشترى كل منهم لزوجته فستان سهرة من موضة اللامعقول استنادا الى ماقالته كتب العرب عن المتجردة زوجة النعمان بن المنذر • وأما ابو الفتوح الصباح فقـد جره

المجاهد بن الشماخ قائلا : اسمع يا اخى • طبعا نحن لن ننفذ قرارات المؤتمر • يجب أن نتوارى عن العيون حتى يرتفع هذا البلاء • هذا ماجرته علينا وثنية اليونان وصليبية البـابوات وبلشفية المعاصرين وجاهلية القرن العشرين •

« انتهى »



الكتاب الذهبى

الاشتراكات

فى ج٠ع٠م ١٢٠ قرشا عن سنة – ٦٠ قرشا عن نصف سنة الخارج : ١٨٠ قرشا عن سنة – ٩٠ قرشا عن نصف سنة ٠

أسعار بيع الكتاب الذهبى فى البلاد العربية :

سوريا – ١٢٥ ق٠س الكويت – ١٩٠ فلسا ، لبنان ، ١٢٥ق٠ل الدوحة – ٢٠٠نيابيزا ، الاردن ١٣٠ فلسا ، طرابلس وبنى غازى ١٤٠ مليما ، العراق – ١٣٠ فلسا ، عدن ٢٨٠ سنتا – السودان ١١٠ مليمات الجزائر – ١٧٠ فرنكا ٠٠ البحرين ٣٢ آنة ٠٠

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة ٨٩ (أ) شارع القصر العينى ، جميع الحوالات ترسل باسم : «روز اليوسف» بريد مجلس الامة

رئيس مجلس الإدارة :

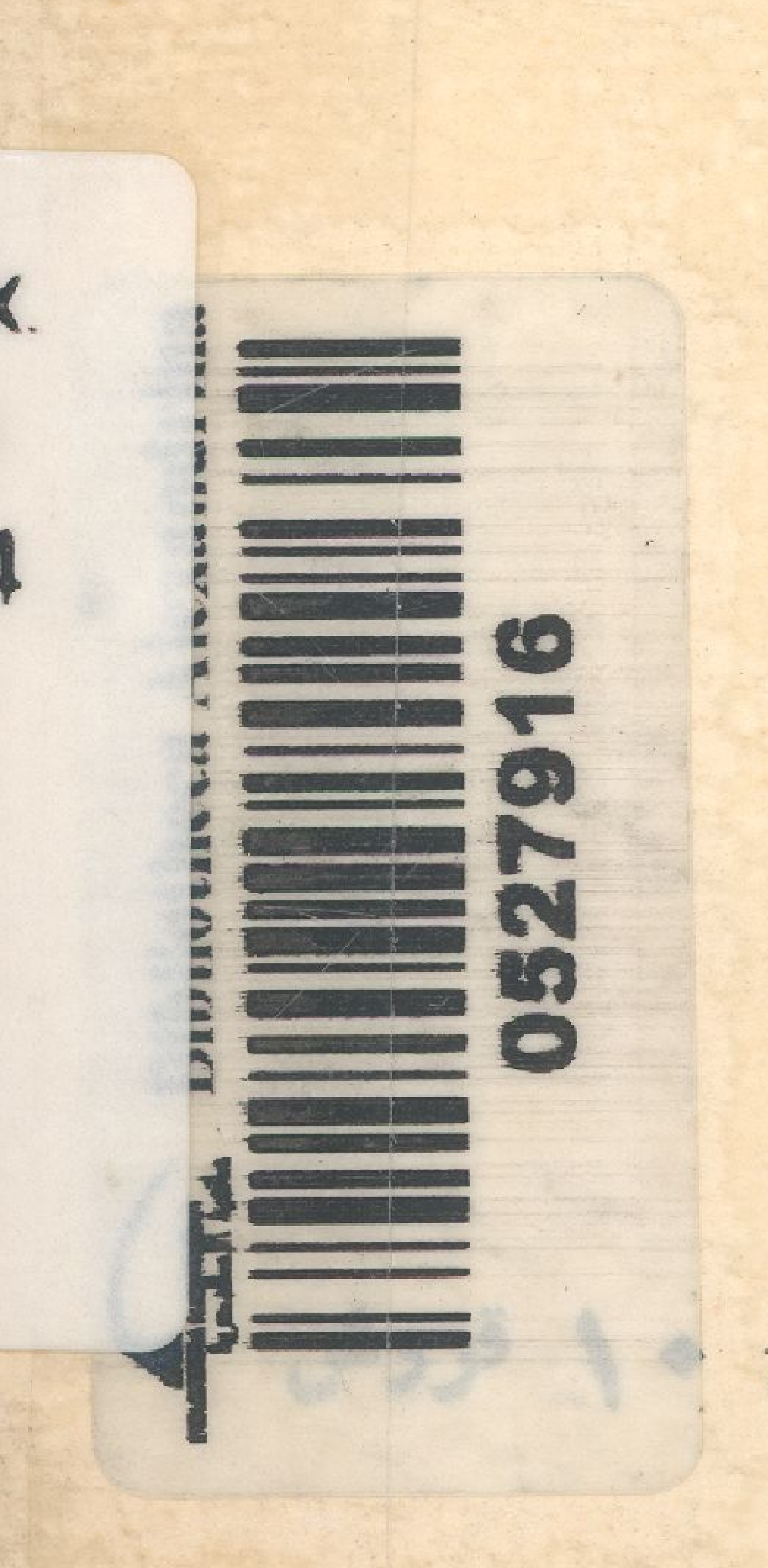
أحمد بهاء الدين

مدير التحرير :

إلهام سيف النصر

سكرتير التحرير :

محمد سليم



الثمن

مؤسسة
روز اليوسف